

فَتْحُ الْوَهَّابِ

فِي

عِشْرِينَ نَصِيحَةً لِلشَّبَابِ

تَقْدِيرُ

فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

تَأْلِيفُ

أبي عبد الرحمن

خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

٢٠١٨/١٤٣٩



﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي المجوري حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

وَفَقَّ إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَخُونَا خَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَادِي

نفع الله به في نصيحته هذه للشباب، فَبَنَاهُ عَلَى أدلة الكتاب

والسنة، وأقوال علماء الأمة.

فجاءت رسالة مفيدة نافعة للشباب وغيرهم.

تلحظ في ثناياه صدق اللهج، ووضوح النهج.

فجزاه الله خيراً.

كتبه

يحيى بن علي المجوري

بمكة حرسها الله في المحادي والعشرين من شهر جمادى الثاني عام ١٤٣٩هـ

المقدمة

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ آل

عمران

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾

النساء: ١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَفَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فقد أخرج الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** من حديث أبي رقية تميم الداري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ فُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»

قال الخطابي رحمته الله في معالم السنن (٤ / ١٢٥):

« النصيحة كلمة يُعَبَّرُ بها عن جملة هي (إرادة الخير للمنصوح له) وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع ». اهـ

قال القرطبي رحمته الله في المفهم (٢ / ٩):

« فالنصح لله تعالى: هو صحة اعتقاد الوجدانية لله تعالى، ووصفه بصفات الإلهية، وتنزيهه عن النقائص، والرغبة في محابته، والبعد عن مساخطه. والنصح لكتاب الله تعالى: هو الإيثار به، وتحسين تلاوته، وتفهم معانيه، وتدبر آياته، وتوقيره وتعظيمه، والدعاء إليه، والذب عنه. والنصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هو التصديق بنبوته، والتزام طاعته فيما أمر به ونهى عنه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وتوقيره وتعزيزه، ومحبة آل بيته، وتعظيم سنته، وإحيائها بعد موته، بروايتها وتصحيحها، والبحث عنها والتفقه فيها، والذب عنها ونشرها والدعاء إليها، والتخلي بأخلاقه الكريمة.

ونصيحة أئمة المسلمين: هي طاعتهم في الحق، ومعونتهم عليه، وتذكيرهم به، وإعلامهم بما غفلوا عنه أو جهلوه في أمر دينهم ومصالح دنياهم، وبالجملة: فأن

يكونَ معهم كما قال . **صلى الله عليه وسلم** : « أَنْ تُؤْتِيَهُمْ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ » ^(١) وقد تقدّم القول على قوله : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وإذا كان هذا في حقّ المسلمين ، فالأمرأ والأئمةُ بذلك أولى . اهـ

وبوب الإمام البخاري **رحمته الله** في صحيحه به فقال (بابُ قولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »)

وذكر حديث جرير بن عبد الله **رضي الله عنه** قال : « بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ »

وإن من أعظم الفئات التي هي بحاجة للنصح ، ألا وهم معاصر الشباب وذلك لأن المؤامرة الكبرى من دول الكفر والفساد والإلحاد إنما هي متوجهة لإفساد هذه الطائفة بالذات ، وذلك لمعرفةهم بأن الشباب هم عماد كل أمة ، فأرادوا تمييعهم وصدهم عما ينفعهم ولهذا سخروا لهم مليارات الدولارات لغزوهم ، وكرّسوا كل الجهود والإمكانات لاختراع كل ما يفسدهم ويذهب بهم وبأعمارهم ، فترى الدشوش والانترنات والنوادي والملاعب والبلياردو وبرامج التواصل من الفيس بوك والتويتر وغير ذلك مما أضاعوا به كثيراً من شباب المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) (سنده ضعيف) أخرجه أحمد والأصبهاني في الترغيب من طريق عبد الله بن أبي عقيل الشكري وهو مجهول ويغني عنه حديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) في الصحيحين عن أنس

ولهذا رأينا أنه لا بد من القيام بواجب النصيحة من بعضنا لبعضٍ لأمر، فأولها
لما مر بنا من وجوب النصيحة في الحديثين السابقين، وثانيها لما يترتب عليه من
مصالح تعود على معاشر الشباب ومنها على مجتمعاتهم، وثالثها أن نجاة المسلمين
وعز الإسلام منوطة بالأخذ على أيدي الشباب للرجوع إلى دينهم الذي ارتضاه
الله لهم.

دليل ذلك ما ثبت عند البخاري من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى
سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا
مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرَقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا،
فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا »
فأرأينا إتحاف الشباب بهذه النصائح عساهم أن يجدوا بغيتهم
فيها.

وقد أسميتها "فتح الوهاب في عشرين نصيحة للشباب".

فعسى الله أن يأخذ بأيدي الشباب للتمسك بدينهم وأن يحفظهم من مكائد
أعداءهم.

وتحرينا في هذه الرسالة الأحاديث الصحيحة مما كان في الصحيحين أو مما كان
خارجها وقد صححها العلامة الألباني رحمته الله وما كان عند الترمذي أو أبي داود

وابن ماجه فرقم الحديث المشار إليه هو رقم التصحيح التي صححها فيه العلامة
الألباني رحمته الله، وما كان في غيرها ذكرنا موضع التصحيح.

وقد نضطر في بعض الأحاديث لبيان صحته من ضعفه لوجود الاختلاف في
تصحيحه فاجتهدنا في تحقيقه، ونسأله سبحانه التوفيق والسداد والهدى والرشاد،
والأخذ بنواصينا ونواصي العباد إلى ما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.



النصيحة الأولى

العناية بالوقت

وذلك لأن الوقت من أنفس ما يملكه العبد عامة والشاب خاصة وذلك لما فيه من القوة ومن النشاط ومن القدرة على العطاء والكسب في هذه المرحلة من العمر. ولهذا فقد اعتنى ديننا الإسلامي بتوجيه الشباب بالذات في هذه المرحلة من مراحل الحياة إلى ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة.

وقد بين ربنا سبحانه وتعالى عظم هذه المرحلة بالذات فقال سبحانه ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

وتمعن يا أيها الشاب إلى هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كيف أن الله سبحانه وتعالى ذكر الضعف الأول مفرداً لأنه يعقبه الشباب وتعقبه القوة، وكثير من الصبيان ينتظرون الوصول إلى الشباب لتنامى قدراتهم وتقوى أبدانهم، ثم انظر إلى وصفه للضعف الأخير الذي يعقب الشباب فقد زاده الله سبحانه وتعالى وصفاً، بأن هذا الضعف يعتريه الشيب الذي لا صحة بعده ولا قوة تعقبه وليس بعده إلا الحصاد وانتظار الموت وقد أحسن من قال:

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُفِدِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

قال العلامة السعدي رحمته الله في تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٤٤) عند الآية

السابقة الذكر:

« يخبر تعالى عن سعة علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتداء خلق الآدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا. اهـ

ولهذا ينبغي على الشاب العاقل أن يستغل وقته فيما يرضي الله، بالذات في هذا الوقت الذي يكون فيه الشاب قادراً على العطاء والبذل فإنه يمتلك الصحة والقوة على العبادة لهذا بين نبينا عليه الصلاة والسلام عِظَمَ ما يفعله الشاب من العبادات وأنه في منزلة عظيمة كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي

اللَّهُ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ سَمَاءُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»

قال الحافظ ابن رجب **رحمته الله** في فتح الباري (٥ / ٢٩):

« هذه السبعة اختلفت أعمالهم في الصورة، وجمعها معنى واحد، وهو مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج أولاً إلى رياضة شديدة وصبر على الامتناع مما يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع، وفي تجشم ذلك مشقة شديدة على النفس، ويحصل لها به تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عند هيجانها إذا لم يطفأ ببلوغ الغرض من ذلك، فلا جرم كان ثواب الصبر على ذلك أنه إذا اشتد الحر في الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلمهم ويقىهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة في ظل الله **ﷻ**، فلم يجدوا الحر الموقف ألماً جزاءً لصبرهم على حر نار الشهوة أو الغضب في الدنيا...

والثاني: الشاب الذي نشأ في عبادة الله عز وجل.

فإن الشباب شعبة من الجنون، وهو داع للنفس إلى استيفاء الغرض من شهوات الدنيا ولذاتها المحظورة، فمن سلم منه فقد سلم. اهـ

ولهذا من استعان بالله على الطاعة في شبابه فهو الموفق الذي يحبه الله بسبب صرفه لوقته في طاعة الله واستغلاله الأوقات بعيداً عن الترفه واللعب وفي وصف

هذا قال النبي ﷺ فيما رواه الروياني في "مسنده" عن عقبة بن عامر رضي الله عنه «إن ربك ليعجب للشاب لا صبوة له» [وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٤٣)].

قال المناوي رحمته الله في فيض القدير (٢/ ٢٦٣):

«إن الله ليعجب» من الإعجاب وهو من العجب وهو كون الشيء خارجاً عن نظائره من جنسه حتى يكون ندرة في صنفه. قاله الحرالي. «من الشاب» أي يعظم عنده قدرًا فيجزل له أجره لكونه «ليست له صبوة» أي ميل إلى الهوى بحسن اعتياده للخير وقوة عزمته في البعد عن الشر قال حجة الإسلام: وهذا عزيز نادر فلذلك قرن بالتعجب وقال القونوي: سره أن الطبيعة تنازع الشاب وتتقاضاه الشهوات من الزنا وغيره وتدعوه إليها على ذلك ظهير وهو الشيطان فعدم صدور الصبوة منه من العجب العجائب وهل الأفضل ما نشأ لا صبوة له لكونه لم يلبس كبيرة ونجا من ضررها وخطرها والسؤال عنها في القيامة أو من قارف الذنوب وتاب توبة نصوحا لكونه قلع عن الشهوات لله بعد إلفه لها وتعوده لذتها ثم فارق لذته وشهوة لله؟ قولان وكلام المحاسبي يقتضي ترجيح الأول». اهـ

ومعنى هذا أنه ليس له حبٌ للعب والعبث فهو مشغولٌ بطاعة ربه وبالإقبال على عبادة الله، ولهذا انظر لمن ذكره الله في كتابه وأثنى عليه بقوله سبحانه ﴿يَكِيحِي حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ﴿١٢﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٥ / ٢١٦):

«يَيْحَيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» أي: تعلم الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجد

وحرص واجتهاد ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث السن.

قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقت.

قال: فلهذا أنزل الله: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. اهـ

فيالله العجب من هذا الفتى الصغير الذي حرص على استغلال وقته في طاعة الله، فأثنى الله عليه ورفع ذكره في كتاب يتلى إلى يوم القيامة.

فالحرص على الوقت يا معاشر الشباب من أهم ما يجب عليكم، فالشيطان يحاول صرف أوقاتكم في سفاسف الأمور وإضاعة هممكم في شواغل الحياة المتعبة ولهذا حث النبي ﷺ على اغتنام لحظات الشباب كما في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ». [صحيح الترغيب (٣٣٥٥)]

قال المناوي في فيض القدير (٤ / ٢٠١):

« اغتتم خمسا قبل خمس » أي افعَل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء: «حياتك قبل موتك» يعني اغتتم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله، وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك «وصحتك قبل سقمك» أي اغتتم العمل، حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد «وفراغك قبل شغلك» أي اغتتم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتتم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان «وشبابك قبل هرمك» أي اغتتم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله.

«وغناك قبل فقرك» أي اغتتم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا في الدنيا والآخرة فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها . اهـ

ففي هذا الحديث حثٌ على استغلال العمر بجميع أنواع الطاعات واستعمال جميع القدرات فيما يرضي الله سبحانه وتعالى ومن لم يفعل ذلك لم يكن عاقبته بعد ذلك إلا الندم وعض الأنامل على ما فرط به من زهرة العمر ولمثل هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ﴾ ﴿٧٧﴾ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ الفرقان: ٧٢ - ٩٢

فانظر رعاك الله إلى هذه الزفرات التي يطلقها من فَرْطٍ في عمره وأصابعه في غير مرضاة الله سبحانه.

قال ابن كثير في تفسيره (٦ / ١٠٨):

« يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مزية فيه، وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعص على يديه حسرة وأسفاً. وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم. » اهـ

ثم انظر كيف يتحسر هؤلاء الذين صرفوا أوقاتهم في غير طاعة الله تحسراً عظيماً قال الله سبحانه وتعالى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٨ ﴿ الزم

فهذه ثلاث حشرات يتندمون عليها:

الأولى: انشغالهم بغير طاعة الله

الثانية: فوات الهداية عليهم

الثالثة: استحالة الرجوع للعالم الصالحات

وكل واحدة منها تملأ القلب كمداً ويتقطع منها ألماً، فكيف إذا اجتمعت على المرء.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ قَالَ وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي قَالَ فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا» [حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣٤)]

واعلم يا أيها الشباب أن هذا الوقت الذي يمر بك ستسأل عنه سواء قضيته في طاعة الله وهو خير لك أو في معصية الله وهو بال عليك فقد أخرج الترمذي من حديث عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» [حسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٩٢)]

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٥ / ١١٧):

«وعن شبابه» أي قوته في وسط عمره «فيمًا أبلاه» أي ضيعه، وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبر. وقال الطيبي فإن قلت هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه؟ قلت المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة». اهـ

فيسألك الله سبحانه وتعالى على ما قدمت وأسلفت في هذا الوقت بالذات لما فيه من الاقتدار على العمل وتحمل المشاق.

ثم انظر إلى حال أولئك الذين فرطوا في أعمارهم ولم يعملوا فيها بمرضات الله سبحانه وتعالى كيف يوم القيامة يتقاصرون أعمارهم كأنهم لم يعيشوا في هذه الحياة الدنيا ولم تمر عليهم ساعاتها ولياليها، وكأنهم كانوا في حلم واستيقظوا منه، ولهذا تضاربت أقوالهم حين سُئلوا عن مدة عيشهم في الحياة الدنيا فمن قائل ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٣﴾ ومن قائل ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٤﴾ ومن قائل ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ثم انظر إلى إقسامهم حيث يقول الله تعالى في كتابه عنهم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝٥٥﴾

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في دفع إيهام الاضطراب (ص: ٦٢):

« قال تعالى ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ۝١٣﴾

هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا إلا يومًا أو بعض يوم وقد جاءت آيات أخر يفهم منها خلاف ذلك كقوله تعالى

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٣﴾

وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

والجواب عن هذا بما دل عليه القرآن؛ وذلك أن بعضهم يقول: لبثنا يوماً أو بعض يوم، وبعضهم يقول: لبثنا ساعة، وبعضهم يقول: لبثنا عشرًا. ووجه دلالة القرآن على هذا أنه يبين أن أقوالهم إدراكاً وأرجحهم عقلاً وأمثلهم طريقة هو من يقول أن مدة لبثهم يوماً وذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ﴿١٠٤﴾

فدل ذلك على اختلاف أقوالهم في مدة لبثهم والعلم عند الله . اهـ
وهذا كله والله بسبب تفريطهم وضياح أوقاتهم في غير ما ينفعهم بين يدي ربهم من الأعمال الصالحة ولهذا بين النبي ﷺ مدى تفريط الناس في أمرين عظيمين . ونعمتين جليلتين .

فقد ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»

والغبن معناه أن تبيع شيئاً نفيساً غالياً برخص الثمن لعدم علمك بقيمته فتغبن بذلك وتحسر خسارة كبيرة بالذات بعد علمك بقيمتها الحقيقية بعد فوات سوق البيع . وهذا ما يفعله كثير من أنعم الله عليهم بهاتين النعمتين الصحة والفراغ فتجده

يصر فهما في غير ما ينفعه كل ذلك لأنه جهل قدر هاتين النعمتين التي أنعم الله بهما عليه.

قال ابن بطال رحمه الله في شرح البخاري (١٠ / ١٤٦):

« قال بعض العلماء: إنما أراد صلى الله عليه وسلم بقوله: « الصحة والفراغ نعمتان »، تنبيه أُمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده في الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً مؤنة العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما، ومما يستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم وضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرف يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلوداً دائماً في جنات لا انقضاء لها مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فمن أنعم النظر في هذا كان حرياً ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه، ويشكروه على عظيم مواهبه والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه في سهو وهو

وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غبن أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم». اهـ

قال العلامة العثيمين في شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥):

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ » يعني أن هذين الجنسين من النعم مغبون فيهما كثير من الناس، أي مغلوب فيهما، وهما الصحة والفراغ، وذلك أن الإنسان إذا كان صحيحاً كان قادراً على ما أمره الله به أن يفعله، وكان قادراً على ما نهاه الله عنه أن يتركه لأنه صحيح البدن، منشراح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ إذا كان عنده ما يؤويه وما يكفيه من مؤنة فهو متفرغ.

فإذا كان الإنسان فارغاً صحيحاً فإنه يغبن كثيراً في هذا، لأن كثيراً من أوقاتنا تضيع بلا فائدة ونحن في صحة وعافية وفراغ، ومع ذلك تضيع علينا كثيراً، ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنما يعرف الإنسان الغبن إذا حضره أجله، وإذا كان يوم القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ^{٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿٩٨﴾ وقال عز وجل في سورة المنافقون ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^{١٠٠} ﴿٩٩﴾

الواقع أن هذه الأوقات الكثيرة تذهب علينا سدى، لا ننتفع منها، ولا ننفع أحداً من عباد الله، ولا نندم على هذا إلا إذا حضر الأجل؛ يتمنى الإنسان أن يعطى فرصة ولو دقيقة واحدة لأجل أن يستعقب، ولكن لا يحصل ذلك.

ثم إن الإنسان قد لا تفوته هاتان النعمتان: الصحة والفراغ بالموت، بل قد تفوته قبل أن يموت، قد يمرض ويعجز عن القيام بما أوجب الله عليه، وقد يمرض ويكون ضيق الصدر لا يشرح صدره ويتعب، وقد ينشغل بطلب النفقة له ولعِياله حتى تفوته كثير من الطاعات.

ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحة والفراغ بطاعة الله. عز وجل. بقدر ما يستطيع، إن كان قارئاً للقرآن فليكثر من قراءة القرآن، وإن كان لا يعرف القراءة يكثر من ذكر الله عز وجل، وإذا كان لا يمكنه؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كل ما يستطيع من معونة وإحسان، فكل هذه خيرات كثيرة تذهب علينا سدى، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز الفرص؛ فرصة الصحة، وفرصة الفراغ». اهـ

قلت: وعلى هذا فينبغي على الشاب العاقل أن يستغل وقته فيما يرضي الله سبحانه وتعالى وأن يحرص على أيام عمره فإنها رأس ماله، فإذا ذهب رأس المال خسر العبد خسارة عظيمة.

قال ابن الجوزي رحمته الله في حفظ العمر:

«وَبِالْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ، قَالَ: ثَنَا سَيَّارٌ، ثَنَا جَعْفَرٌ، ثَنَا الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ، **عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ:** لَيْسَ يَوْمٌ يَأْتِي مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا يَتَكَلَّمُ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، وَإِنِّي لَوْ قَدْ أَفْلَتَ شَمْسِي لَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ: أَحَدَهُمْ لَوْ سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ لَطَلَّ يَوْمُهُ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ!! ذَهَبَ دِرْهَمِي، وَهُوَ يَذْهَبُ يَوْمُهُ؛ وَلَا يَقُولُ: ذَهَبَ يَوْمِي مَا عَمِلْتُ فِيهِ.

وَكَانَ **عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ:** مَا أَنْزَلَ الْمَوْتَ كُنْهَ مَنْزِلَتِهِ مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجَلِهِ، وَكَمْ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَكَمْ مُؤَمِّلٍ لِعَدٍ لَا يُدْرِكُهُ، لَوْ رَأَيْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ، لَأَبْغَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

وَقَالَتْ رَابِعَةُ لِسُفْيَانَ: إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ ذَهَبَ بَعْضُكَ، وَيُوشِكُ إِذَا ذَهَبَ الْبَعْضُ أَنْ يَذْهَبَ الْكُلُّ، وَأَنْتَ مَتَى تَعْلَمُ فَاْعْمَلْ». اهـ

قال ابن القيم رحمته الله في مدارج السالكين (٣/ ٥٠):

«فإن الوقت وحيُّ التقضي» أي سريع الانقضاء كما تقول العرب الوحا الوحا العجل العجل العجل، والوحي الإعلام في خفاء وسرعة ويقال جاء فلان وحيًا أي مجيئًا سريعًا فالوقت منقض بذاته منصرف بنفسه فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته وعظم فواته واشتدت حسراته فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت مقدار ما أضاع

وطلب الرجعى فحيل بينه وبين الاسترجاع وطلب تناول الفاتت وكيف يرد الأمس
في اليوم الجديد وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ومنع مما يحبه ويرتضيه وعلم أن ما
اقتناه ليس مما ينبغي للعاقل أن يقتنيه وحيل بينه وبين ما يشتهيه

فيا حسرات ما إلى رد مثلها..... سبيل ولو ردت لهان التحسر
هي الشهوات اللاء كانت تحولت... إلى حسرات حين عز التصبر
فلو أنها ردت بصبر وقوة..... تحولن لذات وذو اللب يبصر

ويقال إن أصعب الأحوال المنقطعة انقطاع الأنفاس فإن أربابها إذا صعد النفس
الواحد صعدوه إلى نحو محبوبهم صاعدا إليه متلبسا بمحبته والشوق إليه فإذا أرادوا
دفعه لم يدفعوه حتى يتبعوه نفسا آخر مثله فكل أنفاسهم بالله وإلى الله متلبسة
بمحبته والشوق إليه والأنس به فلا يفوتهم نفس من أنفاسهم مع الله إلا إذا غلبهم
النوم وكثير منهم يرى في نومه أنه كذلك لالتباس روحه وقلبه فيحفظ عليه أوقات
نومه ويقظته ولا تستنكر هذه الحال فإن المحبة إذا غلبت على القلب وملكته أوجبت
له ذلك لا محالة

والمقصود أن الواردات سريعة الزوال تمر أسرع من السحاب وينقضي الوقت بما
فيه، فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك
فإنه عائد عليك لا محالة لهذا يقال للسعداء ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ

الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَيَقَالُ لِلْأَشْقِيَاءِ ﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ . اهـ

ومن أعظم ما ينبغي على العبد أن يحرص عليه في عمره كله ما ذكرناه في النصيحة الثانية.



النصيحة الثانية

التمسك بالكتاب والسنة

فإن أعظم ما صُرفت فيه الأوقات وبُذلت فيه الهمم وكرّست فيه الجهود وأُفئيت فيه الأعمار ألا وهو العناية بأمرين لا ثالث لهما إلا ما كان عن طريقهما أو يوصل إليهما:

الأول: كتاب الله

فإنه حبلى الله الممدود الذي من تمسك به نجا ومن تفلت عنه ضل وغوى، وقد أخرج الإمام مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى حُمَّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: « أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ... » الحديث

قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٠ / ٢٠):

« وقوله: « وأنا تارك فيكم ثقلين »؛ يعني: كتاب الله، وأهل بيته. قال ثعلب: سمّاهما ثقلين؛ لأنَّ الأخذ بهما، والعمل بهما ثقل، والعرب تقول لكل شيء خطير نفيس: ثقل.

قلت: وذلك لحرمة الشيء النفيس، وصوبة روم الوصول إليه، فكأنه **صلى الله عليه وسلم** إنما سمى كتاب الله، وأهل بيته: ثقلين لنفاستهما، وعظم حرمتها، وصعوبة القيام بحقها». اهـ

وهذا الكتاب على عظمه وثقله فإنه الحبل الموصل إلى الله فمن تمسك به وصل إلى رضا محبوبه ومن تفلت عنه انقطع عن الوصول إلى مطلوبه.

وقال **ربنا سبحانه** ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

قال القرطبي رحمه الله في نفس المصدر السابق:

« وقوله في كتاب الله: « هو حبل الله » أي: عهد الله الذي عهده لعباده، وسببه القوي الذي من تمسك به وصل إلى مقصوده». اهـ

وفي شعب الإيمان للبيهقي عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيِّ **رضي الله عنه** قَالَ: « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** فَقَالَ: « أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ » فَقُلْنَا: نَعَمْ أَوْ بَلَى، قَالَ: « فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبُ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا » [الصحيحة (٧١٣)]

وقال **عبد الله بن مسعود رضي الله عنه**: « إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ، مُحْضَرُهُ الشَّيَاطِينُ يَنَادُونَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا الطَّرِيقُ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ، فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ الْقُرْآنُ »

[أخرجه الدارمي وهو صحيح إليه]

وفي مرعاة المفاتيح (٩ / ١):

«استعار الحبل للقرآن من حيث أن العمل بالقرآن سبب لحصول العلوم والمعارف التي هي وسيلة إلى الحياة الأبدية، كما أن الحبل وسيلة إلى الوصول إلى الماء الذي هو سبب للحياة الدنيوية، أو من حيث أن التمسك بالقرآن سبب للنجاة عن التردّي والخلاص من الوقوع في دركات جهنم، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردّي في البئر عند الاحتياج إلى الماء». اهـ

وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ فِي فِيضِ الْقَدِيرِ (٤ / ٥٤٨):

«أي هو الوصلة التي يوثق عليها فيستمسك بها من أراد الرقي والعروج إلى معارج القدس وجوار الحق كأنه قيل ما السبب الموصل إلى الله الذي في السماء سلطانه فقال: هو التمسك بالقرآن والسبب في أصل اللغة هو الحبل». اهـ

وكتاب الله كتاب هدى يهدي إلى خير الطرق وأمد لها

قال الله جل جلاله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٩﴾

وهو أساس حياة القلوب والأرواح

قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ

لِمَا حَيَّيْكُمْ﴾

وهو كتابٌ نور ينير للناس طرقهم الدنيوية والأخروية

قال الله جل جلاله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

وهو كتابٌ يستشفى به من أمراض القلوب والأبدان

قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

وقال سبحانه ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

وقال سبحانه ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٣):

« وكان من اعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق

وإن القرآن يهdy للتي هي أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم بينهم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيع به الا هواء ولا تلبس به الألسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواء ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد، فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام ولا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدى الى صراط مستقيم

فكان القرآن هو الامام الذي يقتدى به ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة». اهـ

ثانياً: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وسنة رسول الله ﷺ هي المنبع الثاني الذي يستمد منه أصول الشريعة وأحكامها بعد القرآن، والقرآن والسنة شيء واحد لا يفرق بينهما.

وفي مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١ / ٥):

« قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، ولا شك

أنه لا يمكن الوصول إلى حقيقة معاني القرآن ولا يتيسر فهم مقاصده إلا بتبيينه ﷺ وإيضاحه، فكان هو مبيناً لمجملات القرآن ومفسراً لمشكلاته، وليس بيانه

وتفسيره إلا في أحاديثه، فكل حديث ورد في الصلاة فهو بيان وتفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ فإن الصلاة مجملة لم يبين أوقاتها وأعدادها وأركانها وشرائطها وواجباتها وسننها ومفسداتها إلا السنة، وكذا الزكاة والصوم والحج». اهـ

ونحن في زمنٍ كثرت فيه الفرق والاختلافات، وكثر فيه المدَّعون للحق وحالهم كما قال الشاعر:

وَكُلٌّ يَدْعِي وَصلاً بليلى... وليلى لا تقر لهم بذاكا

فالمدَّعون للسنة كثير والعاملون بها قليل والعبرة بالعمل لا بكثير القول.

ولهذا ذم الله أقواماً يقولون ما لا يفعلون **قال سبحانه** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾

قال القرطبي رحمه الله في جامعه (١٨ / ٨٠):

« قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون خلفاً، وكلاهما مذموم ». اهـ

فكم تجد من الفرق الذين يشننون بأنهم هم أهل السنة، ثم تجدهم بعد ذلك يخالفون السنة من أكثر من وجه، ويرمونها وراءهم ظهرياً ويتبعون أهوائهم وما تلي عليهم رؤساؤهم وأحزابهم.

ولهذا حريٌّ بالشاب أن يهتم بهذا الأمر اهتماماً عظيماً ألا وهو الثبات على الكتاب والسنة فإن الشاب على أول نشأة وأول عهد له، فإن كان أول أمره على الكتاب والسنة فقد أفلح وأنجح وإن كان أول أمره مع الفرق والحزبيات والجمعيات فقد خاب وخسر إلا أن يتداركه الله بنعمة منه وفضل.

ولهذا انظر بعين البصيرة إلى قول بعض السلف وهم يتحدثون عن نشأة الشاب.

قال ابن بطه رحمه الله في الإبانة:

« قال عمرو بن قيس الملائني: "إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَارْجُهُ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَايَأْسْ مِنْهُ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نَشْئِهِ" ... وَقَالَ: "إِنَّ الشَّابَّ لَيَنْشَأُ، فَإِنْ آثَرَ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعِلْمِ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ، وَإِنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِمْ كَادَ أَنْ يَعْطَبَ" ». اهـ بتصرف

فجديرٌ بمعاشر الشباب أن يكون همهم الأكبر التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم فهو واجبٌ عليهم.

والأدلة على وجوب التمسك بالكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، نذكر هنا بعضها ليعرف الناس أنه لا نجاة لهم إلا بلزوم هذا الطريق المستقيم.

□ **اعلم علمك الله يا أيها الشاب** أن كثيرًا من الناس في هذا الزمان فرّق بين الكتاب والسنة فجعل يرد الكتاب بالسنة، ويضرب السنة بالكتاب مع أن العبد المسلم الذي في رأسه مُسَكَّةٌ من عقل يعلم أنه لا يستطيع أن يعبد الله بالقرآن وحده دون السنة النبوية التي ذكرها الله عز وجل في كتابه وبين أنها من عنده.

□ **ودونك الأدلة على وجوب الأخذ بالسنة والكتاب معا:**
١. أن الله سبحانه وتعالى سمي السنة وحياً:

قال الله سبحانه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾

قال ابن كثير **رحمته الله في تفسيره (٧/ ٤٤٢):**

« وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله سبحانه وتعالى رسوله وشرّعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل

بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ (٣) أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفراً من غير زيادة ولا نقصان. اهـ

٢. أن الله قرنهما بالقرآن وسماها الحكمة

قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

قال ابن كثير رحمه الله (٢/ ٤١٠):

«وما أنزل عليه من الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي السنة.» اهـ

قال ابن القيم رحمه الله:

«قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) وقال عن المسيح عليه السلام:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨)

الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة ومقرنة بالكتاب فالمفردة: فسرت بالنبوة

وفسرت بعلم القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي علم القرآن: ناسخة ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله

وقال الضحاك: هي القرآن والفهم فيه، وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه وفي رواية أخرى عنه: هي الإصابة في القول والفعل وقال النخعي: هي معاني الأشياء وفهمها وقال الحسن: الورع في دين الله كأنه فسرّها بثمرتها ومقتضاها **وأما الحكمة المقرّنة بالكتاب:** فهي السنة كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة وقيل: هي القضاء بالوحي وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر

وأحسن ما قيل في الحكمة: قول مجاهد ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان والحكمة حكمتان: علمية وعملية **فالعلمية:** الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمرأ قدرأ وشرعاً و**العلمية** كما قال صاحب المنازل: وهي وضع الشيء في موضعه قال: وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره عنه لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها شرعاً وقدرأ ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعدها ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاثة بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره ولا تتعدى بها حدها فتكون متعدياً مخالفاً للحكمة ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة ولا تؤخرها عنه فتفوتها وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعاً وقدرأ وإضاعتها تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر وسقي الأرض وتعدي الحق: كسقيها فوق حاجتها بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد

وتعجيلها عن وقتها: كحصاده قبل إدراكه وكماله وكذلك ترك الغذاء والشراب واللباس: إخلال بالحكمة وتعدي الحد المحتاج إليه: خروج عنها أيضا وتعجيل ذلك قبل وقته: إخلال بها وتأخيرها عن وقته: إخلال بها فالحكمة إذا: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي والله تعالى أورش الحكمة آدم وبنه فالرجل الكامل: من له إرث كامل من أبيه ونصف الرجل كالمرأة له نصف ميراث والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى وأكمل الخلق في هذا: الرسل **صلوات الله وسلامه عليهم** وأكملهم أولو العزم وأكملهم محمد ولهذا امتن الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) وقال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها **فأكمل الناس**: أوفرهم منها نصيبا وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا ولها ثلاثة أركان: العلم والحلم والأناة وآفات وأضدادها: الجهل والطيش والعجلة فلا حكمة لجاهل ولا طائش ولا عجول والله أعلم. » اهـ من التفسير القيم (٨٣ / ٢)

ومن أوتي الحكمة والعمل بالسنة فقد أوتي خيرا كثيرا.

ولهذا كان النبي ﷺ يقضي بهذه الحكمة بين الناس وهي مما علمه الله وأراه
ولهذا قال الله في الآية الأخرى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَا أَرَدَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾

قال العلامة السعدي رحمه الله في تيسير الكريم الرحمن (١٩٩):

« يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظاً في إنزاله من
الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتلاً أيضاً على الحق،
فأخبره صدق، وأوامره ونواهيه عدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا﴾
وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. فيحتمل
أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبين
جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد، فيكون
الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر
الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام.

وقوله: ﴿بِمَا أَرَدَكَ اللَّهُ﴾ أي: لا بهواك بل بما علمك الله وألهمك، كقوله
تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وفي هذا دليل على عصمته
صلى الله عليه وسلم فيما يُبَلِّغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في

الحاكم العلم والعدل لقوله: ﴿بِمَا أَرْكَكَ اللَّهُ﴾ ولم يقل: بما رأيت. ورتب أيضا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط ناه عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل فقال: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ ١٠٥ أي: لا تخاصم عن مَنْ عرفت خيانتة، من مدع ما ليس له، أو منكر حقا عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية. اهـ

٣. أن السنة موضحة للقرآن:

قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٤٤ وقال سبحانه ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَفَوْا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦٤

قال ابن كثير رحمه الله (٤ / ٥٧٤):

«ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم، أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: ينظرون لأنفسهم فيهدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين. اهـ

قال القرطبي رحمته الله في جامعه (١٠ / ١٠٩):

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ » يعني القرآن . « لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » في هذا

الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك؛ فالرسول صلى الله عليه

وسلم مبين عن الله عز وجل مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة،

وغير ذلك مما لم يفصله . « وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » فيتعظون . اهـ

قلت: فأين يجد العبد في كتاب الله مواقيت الصلاة وكيفيةها وماذا يقول في

الركوع والسجود وماذا يبطلها؟

وأين يجد الزكاة وكم نصاب الذهب والورق والإبل والغنم؟

وأين يجد الحج ومناسكه وغير ذلك من الأحكام التي جاءت مجملة في كتاب

الله وفصلتها السنة تفصيلاً شافياً كافياً بما لا يبقى العبد فيه متشككاً في شيء من

أمور الدين ولهذا أنزل الله في حجة الوداع « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » لتتام النعمة عليهم بإكمال الدين وقال صلى الله عليه وسلم

« لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرَّبُ إِلَى الْجَنَّةِ ، إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرَّبُ إِلَى النَّارِ ، إِلَّا قَدْ

نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ » أخرجه ابن مردويه في "ثلاثة مجالس" عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو في الصحيحة

للألباني (٢٨٦٦) .

ولهذا قال أبو ذر رضي الله عنه كما عند أحمد في المسند « لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا » [الصحيحه (١٨٠٣)]

قال العلامة العباد حفظه الله في شرح سنن أبي داود:

« أي: أن الشريعة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تختصر في ثلاث صيغ:

الأولى: صيغة الكمال فلا نقص فيها، ولهذا لا يضاف إليها شيء ويقال: هذه سنة حسنة، بل هي من البدع والأمور المنكرة، فهي لا تحتاج إلى أن تضاف إليها إضافات أو أن تكمل فهي كاملة لا نقص فيها، فهذه من صفات هذه الشريعة، فهي كاملة لا نقص فيها، إذا فالبدع مردودة كما جاء في الحديث: « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه، وفي لفظ لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ».

والثانية: الخلود والبقاء، فهي مستمرة إلى قيام الساعة ليس لها وقت تنتهي إليه كالرسالات السابقة، ولا أن يأتي رسول بشريعة مع بقاء الشريعة السابقة، وقد يجتمع رسولان في وقت واحد مثل إبراهيم ولوط، فهذا مرسل وهذا مرسل، وكل مرسل إلى قوم، وكل مأمور باتباع من أرسل إليهم، وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فختم الله به الرسالات، ورسالته مستمرة ولا نبي بعده صلوات الله

وسلامه وبركاته عليه، فهي كاملة لا نقص فيها، ومستمرة لا تنتهي ولا تنقطع ما بقيت الدنيا.

والثالثة: لزوم اتباع كل أحد لها، وأنه ليس لأحد العذر بأن يتخلى عنها أو أن يقول: أنا لست من أهلها كما يقول اليهود: نحن أصحاب موسى، والنصارى يقولون: نحن أصحاب عيسى، وهذا بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وليس لهم هذا ولا يقبل منهم، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«والذي نفسي بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار»**، فاليهود والنصارى من أمة محمد ﷺ أمة الدعوة، فالأمة أمتان: أمة دعوة وأمة إجابة، فأمة الدعوة هم كل الإنس والجن من حين بعثته وإلى قيام الساعة **صلوات الله وسلامه وبركاته عليه**، أي: أنهم مدعوون إلى الدخول في دينه، ومن لم يدخل في دينه بعد بعثته فإنه ليس له إلا النار: **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَّ النَّارُ مَوْعِدُهُ﴾** وفي هذا الحديث: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني»**، فذكر أن النصارى واليهود من أمة الدعوة، **«ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار»** قال بعض السلف: فكنت إذا سمعت الحديث تأملتة وجدت مصداقه في القرآن، قال الله عز وجل: **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَّ النَّارُ مَوْعِدُهُ﴾**

إذاً: فشريعة نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم** شاملة لكل الناس، ولازمة لكل الإنس والجن، وموجهة لكل من الجن والإنس، وخالدة باقية لا تنتهي، وكاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه». اهـ

وهذا كلامٌ فصلٌ جميلٌ لمن تطفن له وفهمه.

وقد قال شيخ الإسلام **رحمه الله**: «وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان و سائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبّر عن مجمله وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر وقال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾». [انتهى من مجموع الفتاوى (١٧/٤٣٢)]

٤. أن الله أمر عند التنازع بالرجوع إليهما

قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

قال العلامة الشنقيطي **رحمه الله** في أضواء البيان (١/ ٢٤٤):

«أمر الله في هذه الآية الكريمة بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصل الدين وفروعه إن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه **صلى الله عليه وسلم** لأنه تعالى قال ﴿مَنْ

يُطِيعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿١﴾ وأوضح هذا المأمور به هنا بقوله ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. اهـ

قال العلامة السعدي رحمه الله:

«ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم. اهـ

٥. أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أنهما لا يفترقان

أخرج الحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وستي ولن يتفرقا حتى يردا علي الخوض» [صحيح الجامع (٢٩٣٧)]

قال المناوي رحمته الله في فيض القدير (٣ / ٢٤١):

«ولن يتفرقا حتى يردا علي الخوض» قد مر بيانه موضحاً بما منه أنها الأصلان للذان لا عدول عنهما ولا هدى إلا منهما والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما واعتصم بحبلهما وهما الفرقان الواضح والبرهان اللائح بين الحق إذا اقتفاهما والمبطل إذا خلاهما فوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة متعين معلوم من الدين بالضرورة. اهـ

٦. أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذم من فرق بين الكتاب والسنة التي أوتيتها:

ثبت عند أبي داود من حديث المقدم بن معديكرب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي نابٍ من السبع ولا لقطة

مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنَى عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِمَثَلٍ قَرَأَهُ» [وهو في الصحيحة (٢٨٧٠) للألباني]

وبوب عليه الإمام أبو داود فقال [باب في لزوم السنة]

قال الخطابي في معالم السنن (٤ / ٢٩٨):

« قوله يوشك شعبان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فإنه يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهب إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضُمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا، والأريكة السرير، ويقال إنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حجلة وإنما أراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مظانه واقتباسه من أهله». اهـ

وقال العلامة العباد حفظه الله في شرح سنن أبي داود الدرس (٥١٥):

« يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب في لزوم السنة]، أي: ملازمتها والثبات عليها والأخذ بها، وعدم التهاون والتفريط بشيء منها.

أورد أبو داود رحمه الله حديث المقدام بن معد يكرب **رضي الله عنه** أن النبي **عليه الصلاة والسلام قال**: «**ألا إني أوتيت الكتاب**» أي: القرآن، فهو كتاب الله عز وجل المتعبد بتلاوته، والعمل به.

«ومثله معه»: وهي السنة، ومن المعلوم أن كلاً من الكتاب والسنة وحي من الله عز وجل، وأن كل ما يأتي به النبي عليه الصلاة والسلام فهو من عند الله، سواء كان قرآنًا أو سنة، وليس الوحي مقصوراً على القرآن بل السنة هي أيضاً وحي؛ ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٢٠﴾ وجاء في الحديث أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** قال: «**يغفر للشهيد كل شيء** أو كل ذنب -إلى أن قال: إلا الدين، سارني به جبريل أنفأ»^(١) أي: نزل عليه جبريل واستثنى الدين، فقله «**سارني به جبريل أنفأ**» هذا يدل على أن ما يأتي به النبي **صلى الله عليه وسلم** وحي من الله عز وجل.

فالقرآن وحي والسنة كذلك، إلا أن القرآن متعبد بتلاوته والعمل به، وأما السنة فمتعبد بالعمل بها ولا يتعبد بتلاوتها كما يتعبد بتلاوة القرآن، فالقرآن يقرأ به في الصلاة ويقرأ به في جميع الأوقات، والسنة ليست كذلك، ولكن حكمهما من حيث العمل، فالكل يجب اتباعه والعمل بما جاء فيه.

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي قتادة، وأحمد عن أبي هريرة.

ومن لم يؤمن بالسنة لن يؤمن بالكتاب، ومن كفر بالسنة فهو كافر بالقرآن، إذ الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
 فالمنكر للسنة هو منكر للقرآن، والمكذب بالسنة مكذب بالقرآن، والكتاب والسنة متلازمان، فكل منهما يجب العمل والأخذ به، ولا يمكن أن يقال: إنه يمكن أن يستغني الإنسان بالقرآن عن السنة، ولو كان الأمر كذلك لما استطاع الناس أن يصلوا، ولما استطاعوا أن يزكوا، فالصلاة لم تُعرف أوقاتها ولا ركعاتها ولا هيئاتها وكيفياتها إلا بالسنة، فلا يوجد في القرآن أن الظهر أربع ركعات، ولا أن العصر أربع ركعات، ولا أن المغرب ثلاث ركعات، ولا أن الفجر ركعتان، والعشاء أربع ركعات، فهذا لا وجود له في القرآن، فالإنسان الذي يقول: إنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة، نقول له: كيف ستؤدي الصلوات الخمس التي فرضها الله عز وجل على عباده في اليوم واللييلة خمس مرات؟ فهذا لا تحصل معرفته إلا عن طريق السنة، وكذلك بالنسبة للزكاة، فلا يوجد في القرآن مقادير الأنصبة، ولا المقدار الذي يخرج في الزكاة، وهكذا، فالسنة موضحة للقرآن، وشارحة له، ودالة عليه، ومبينة له، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله الكتاب والسنة، فهما وحي من الله عز وجل أوحاه إلى رسوله الكريم **صلوات الله وسلامه وبركاته عليه**، «ألا إنني أوتيت القرآن ومثله معه».

قوله: «ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم في هذا القرآن من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» أي:

أنه يقتصر على ما في القرآن، فما كان في القرآن حلالاً فهو حلال، وما كان في القرآن حراماً فهو حرام، وأما السنة فليست كذلك، ولهذا فإن السيوطي رحمه الله لما ألف كتابه: (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) ذكر في مقدمته ومطلعه: أن سبب تأليفه للكتاب هو أن رافضياً زنديقاً قال: إنها يؤخذ بالقرآن دون السنة، وكان فيما قاله السيوطي: اعلّموا رحمكم الله أن من العلم كهيئة الدواء، وإن من الآراء كهيئة الخلاء لا تذكر إلا عند الضرورة، أي: أنها آراء يضطر الإنسان إلى ذكرها وهي قبيحة وخبيثة وسيئة، ولكن الضرورة ألجأت إلى ذلك، وكان الإنسان يجب أن ينزه لسانه من أن يتكلم بمثل هذا الكلام، وكان الأمر الذي ألف كتابه السابق من أجله هو أن رافضياً زنديقاً قال: كذا وكذا، ثم بين ما جاء من النصوص في الاحتجاج بالسنة، وما جاء عن سلف هذه الأمة في الاحتجاج بالسنة، وأنه يحتج بها مثلما يحتج بالقرآن، ويعمل بها مثلما يعمل بالقرآن، ومن المعلوم أن المكذب بها مكذب بالقرآن؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

قوله: «ألا يوشك رجل شبعان»، كلمة «رجل» هنا ليس لها مفهوم، فالمرأة مثل الرجل في ذلك، ولكن ذكر الرجال على سبيل التغليب؛ لأن الخطاب لا يكون إلا معهم في الغالب، والأصل هو التساوي بين الرجال والنساء، إلا أن يأتي شيء يدل على تخصيص أحدهما دون الآخر، فذكر (الرجل) هنا لا مفهوم له، بمعنى: أن

النساء قد يحصل منهن ذلك، ولهذا يأتي في كثير من النصوص التنصيص على الرجال في أمور يشترك فيها الرجال والنساء، ومن ذلك قوله **صلى الله عليه وسلم**: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه»^(١)، فهذا يدخل فيه المرأة التي كان من عاداتها أن تصوم الإثنين والخميس، ثم وافق الإثنين أو الخميس يوم الثلاثاء، وكذلك قوله: «من وجد متاعه عند رجل قد أفلس فهو أحق به من الغرماء»، فكذلك لو وجد متاعه عند امرأة قد أفلست فإنه أحق به، فذكر الرجل هذا لا مفهوم له، والأصل هو التساوي بين الرجال والنساء في الأحكام.

قوله: «ألا يوشك رجل شبعان»، وهذا يدل على التنعم، وقوله: «على أريكته» أي: سريره، فيقول مثل هذا الكلام دون أن يتعب نفسه في الاشتغال بالعلم وتحصيله، وإنما يقول مثل هذا الكلام الجائر والقبيح لجهله، فيقول: «عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال أحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه» أي: يقتصرون على ذلك ولا يلتفتون إلى السنة.

ثم إن الرسول **صلى الله عليه وسلم** أشار إلى أمور ليست في القرآن، وإنما هي في السنة، فقال: «ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي»، فهذا في السنة وليس في القرآن،

(١) الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة، وكذا الذي بعده حديث من وجد متاعه عند رجل أفلس

والواجب الأخذ به كما يؤخذ بما جاء في القرآن، والأخذ به داخل تحت قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَاءَ آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. اهـ

٧. أن السؤال في القبر دائر بين هذين الوحيين:

أخرج الإمام البخاري رحمته الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، مِثْلَ - أَوْ قَرِيبَ مِنْ - فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوْ قَالَ: الْمُؤْمِنُ شَكَّ هِشَامٌ - فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَمَّا وَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا وَصَدَّقْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنْ كُنْتَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوْ قَالَ: الْمُرتَابُ، شَكَّ هِشَامٌ - فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ »

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (٥ / ٢٢):

« قوله: « ما علمك بهذا الرجل » إنما يقول له المملكان السائلان « ما علمك بهذا

الرجل » ولا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امتحاناً له وإغراباً عليه لئلا يتلقن منهما إكرام النبي صلى الله عليه وسلم ورفع مرتبته فيعظمه هو تقليداً لهما لا اعتقاداً، ولهذا يقول المؤمن: هو رسول الله، ويقول المنافق: لا أدري، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اهـ

وفي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل وفيه:
 «... قَالَ فُتِعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ
 رَبِّي اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي
 بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ
 قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ» [صححه الألباني في الترغيب (٣٥٥٨)]

وفي الفاجر والكافر قال «فُتِعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ
 فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا
 أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ»

٨. أن ترك السنة عصيان لله:

قال الله سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
 الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿ ٣٦ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦ / ٤٢٣):

«فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء،
 فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى ﴿
 فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
 أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ ٦٥ ﴾ وفي الحديث: «والذي

نفسى بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(١). ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾. اهـ

٩. أن النجاة منوطة بالتمسك بهما جميعا

دليل ذلك ما ثبت عند الحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يترقا حتى يردا عليّ الحوض»

فلا نجاة للعبد إلا بالسير على الكتاب والسنة ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟

(١) (سنده ضعيف) لكن معناه صحيح

وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّيَ اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاتُكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»

وعند الترمذي من حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه) قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبِشِيٌّ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشُ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»

[الإرواء (٢٤٥٥)]

وتنبه لقوله صلى الله عليه وسلم فعليكم بسنتي .

قال العلامة العباد حفظه الله في شرح سنن أبي داود:

«وقال: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» فرغب في اتباع السنة،

ورهب من اتباع المحدثات التي هي البدع المنكرة؛ ولهذا فإن العمل ولو كان خالصاً لله لا بد أن يكون مطابقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد يقول بعض الناس: إن الإنسان قد يأتي بعمل صالح يتقرب به إلى الله مع أنه لم يأت عن الرسول **صلى الله عليه وسلم**، ولكن قصد الإنسان حسن، فهل يشفع له حسن قصده؟ وهل يكون عمله مقبولاً عند الله، مع أنه ليس مبنياً على سنة رسول الله **صلى الله عليه وسلم**؟ الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: مردود عليه.

ومما يدل على أن حسن القصد لا يكفي: أن النبي **عليه الصلاة والسلام** لما ذبح أحد أصحابه **رضي الله عنهم وأرضاهم** أضحيته قبل صلاة العيد، يريد من وراء ذلك أن يطبخ اللحم، حتى إذا جاء الرسول **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه من المصلى وهم بحاجة إلى اللحم يقدم لهم لحم أضحيته، فهذا قصد حسن وقصد طيب، لكن ماذا قال رسول الله **عليه الصلاة والسلام** بعد أن علم أنه ذبحها قبل صلاة العيد؟ قال: «شاة لحم» يعني: ليست أضحية؛ لأنها ما وقعت طبقاً للسنة في الوقت المحدد، فهي مثل الشاة التي تذبح في محرم وصفر وربيع، حينما يذبح الناس الشياه ويأكلون لحمها، هذه من جنسها، والأضحية هي التي تكون بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق، أربعة أيام: يوم العيد، وثلاثة أيام بعده، هذا هو وقت ذبح الأضاحي، فلا تذبح قبل الصلاة، وإذا غابت الشمس من آخر

أيام التشريق انتهى وقت الذبح، فهذا الصباحي رضي الله عنه كان قصده حسناً، ومع ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «شأتك شاة لحم» يعني: ليست أضحية.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري نقلاً عن بعض أهل العلم: وفي هذا الحديث دليل على أن العمل لا يعتبر إلا إذا وقع طبقاً للسنة، وأنه لا يكفي حسن قصد الفاعل.

ومما يدل على ذلك أيضاً: أن أبا عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن أناساً يتحلقون في المسجد، ومع كل واحد منهم حصي، وفيهم واحد يقول: هللوا مائة، فيهللون مائة ويعدون بالحصي، ثم يقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، ثم يقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، فوقف على رؤوسهم أبو عبد الرحمن رضي الله عنه وأرضاه وقال: «ما هذا يا هؤلاء؟! قالوا: حصي نسبح به، فقال رضي الله عنه وأرضاه: إما أن تكونوا على طريقة أهدي مما كان عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أنكم مفتتحو باب ضلالة، فقالوا: سبحان الله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، فقال رضي الله عنه: وكم من مريد للخير لم يصبه».

ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾

قال بعض السلف: العمل الصالح هو الذي يكون خالصاً صواباً، فالخالص ما كان لله وحده، والصواب ما كان على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم». اهـ

ثم اعلم أن من صفة المؤمن تام الإيمان أنه منقادٌ لأوامر الله سبحانه وتعالى لا يردّها لهوى في نفسه أو لأنها ما دخلت عقله كما يقوله بعض المتفلسفين ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن ماجه « قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، فَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُبَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ » [الصحيحة (٩٣٧)]

وروى الطبراني في مكارم الأخلاق عنه أيضاً « الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنْ اسْتُنِخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَخَ » وهو صحيح بشواهد

قال القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨ / ٣١٨٠):

« فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ شَدِيدُ الْإِنْقِيَادِ لِلشَّارِعِ فِي أَوَامِرِهِ، وَتَوَاهِيهِ. وَفِي قَوْلِهِ: إِنْ أُنِخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَخَ إِذَا نُ بَكْرَةٌ تَحْمِلُ الْمَشَاقَّ؛ لِأَنَّ الْإِنَاخَةَ عَلَى الصَّخْرِ شَاقَّةٌ ». اهـ

فالثبات الثبات يا معاشر الشباب على الكتاب والسنة وإياكم أن تتخطفكم
 الأهواء وإياكم والتهوك بما يدندن به أهل البدع والضلالات الذين يريدون أن
 تضلوا كما ضلوا والله عز وجل يقول ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ^(٢٧) وانظروا لهذا الحديث
 العظيم الذي أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه النبي
صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: «أمتهون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي
 بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو
 يبطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما
 وسعته إلا أن يتبعني» [مشكاة المصابيح (١٧٧)]

قال العلامة الألباني رحمته الله بعد تصحيحه الحديث:

« فإذا كان مثل موسى كليم الله لا يسعه أن يتبع غير النبي صلى الله عليه وسلم فهل يسع ذلك
 غيره؟ فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي صلى الله عليه وسلم في الاتباع، وهو من
 لوازم شهادة « أن محمداً رسول الله »، ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية
 المتقدمة أتباعه صلى الله عليه وسلم دون سواه دليلاً على حب الله إياه، ومما لا شك فيه أن من
 أحبه الله كان الله معه في كل شيء، كما في الحديث القدسي الصحيح: « وما تقرب
 إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل

حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه... » البخاري.

وإذا كانت هذه العناية الإلهية إنما هي بعبد المحبوب من الله، كان واجباً على كل مسلم أن يتخذ السبب الذي يجعله محبوباً عند الله، ألا وهو اتباع رسول الله ﷺ دون سواه، وبذلك فقط يحظى بالعناية الخاصة من موله تبارك وتعالى، ألاست ترى أنه لا سبيل إلى معرفة الفرائض وتمييزها عن النوافل إلا باتباعه ﷺ وحده؟

وإن مما لا شك فيه أن المسلم كلما كان بسيرة رسول الله ﷺ أعلم، وبمحاسنه وفضائله أعرف، كان حبه إياه أكثر، واتباعه إياه أوسع وأشمل. »

[انتهى من "تحقيق بداية السؤل" (ص ٦)].

ولهذا كان اتباع النبي ﷺ يتبين به من ادعى محبة الله وهو صادق في دعواه ومن كذب في ذلك ويبينه قول الله سبحانه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١)

ولهذا بوب الإمام البخاري رحمه الله بقوله باب (علامة الحب في الله) لقوله تعالى

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

قال ابن بطلال رحمته الله في شرح البخاري (٩ / ٣٣٢):

« علامة حب الله حب رسوله واتباع سبيله والاقتداء بسنته؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وقوله عليه السلام: «المرء مع من أحب» فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته ومدخله مدخله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: «ولم يلحق بهم» يعنى في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى - والله أعلم - أنه لما كان المحب للصالحين وإنها أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملاً من أعمال القلوب واعتقاداً لها أثاب الله معتقداً ذلك ثواب الصالحين إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء». اهـ

فصل:

ما ترك عبدُ العمل بالكتاب والسنة إلا وقع في البدع والضلالات والعياذ بالله وقد قال عليه الصلاة والسلام «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» أخرجه النسائي عن جابر رضي الله عنه [صححه الألباني في سنن ابن ماجه (٤٥)]

والمبتدع مستدرِكٌ على الله سبحانه وتعالى الذي شرَّع وأتم الدين للناس قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

ولهذا قال المناوي رحمته الله في فيض القدير:

« قال ابن القاسم: لا نجد مبتدعا إلا وهو منتقص للرسول وإن زعم أنه يعظمه بتلك البدعة فإنه يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلا مقلدا وإن كان مستبصرا فيها فهو مشاق لله ولرسوله انتهى . وقد ذم الله قوما رأوا الخير شرا وعكسه ولم يعذرهم فقال ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وقال ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ ثم هذه الجملة توطئة وتأسيس إلى ما هو المقصود من السياق وهو الحث على سلامة العقيدة والتنفير من ملازمة البدعة ومجالسة أهلها . اهـ

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في حكم الانتماء للفرق (ص ٩٥):

« اعلم أن الطرق كلها إلى الله مسدودة إلا طريق واحد (الصراط المستقيم) طريق الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عطية، وعنه القرطبي: (وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة تسوء المعتقد). اهـ

وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَسْ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
 لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ اللَّهُ ﴿أَتَبِعُوا مَا
 أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولَئِكَ﴾

فالتزم رحمك الله المنهج المستقيم، وما نزل به التنزيل، وسنة الرسول ﷺ، وما
 نص عليه السلف الصالح، وعليك بالسنة والجماعة ترشد إن شاء الله تعالى،
 وليس لك أيها الليب أفضل من لزوم ما بين الدفتين^(١) والإكثار من النظر فيه
 وتفهم معانيه، ولزوم السنة والجماعة ودع عنك العوج ولم، وكيف، فإن الأهواء
 مالت بأهلها فأوردتهم عذاباً أليماً». اهـ

وهذه النصيحة بالثبات على الكتاب والسنة وما ترتب عليه من البعد عن البدع
 والضلالات لا يمكن أن يتحقق إلا بالعمل بالنصيحة الثالثة وهي.



(١) يعني به المصحف وهو القرآن الكريم

النصيحة الثالثة

اختيار المجلس الصالح

فإن لهذا المجلس تأثيراً عجبياً على مُجَالِسِهِ ولهذا فقد شدد النبي ﷺ في اختيار المجلس الصالح فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُخَذِّبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً »

قال القاضي عياض رحمته الله في إكمال المعلم (٨ / ٥١):

« وقوله: في تمثيل المجلس السوء والمجلس الصالح بحامل المسك أو نافخ الكير: فيه تجنب خلطاء السوء ومجالسة الأشرار وأهل البدع والمغتربين للناس؛ لأن جميع هؤلاء ينفذ أثرهم إلى جلسهم، والحض على مجالسة أهل الخير وتلقى العلم والأدب، وحسن الهدى والأخلاق الحميدة » . اهـ

وقد نسب النبي ﷺ صاحب إلى جلسه في طريقه وهديه لشدة أخذه عنه فقال كما عند أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ » [الصحيحه (٩٢٧)]

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى (٧ / ٤٢): «قَوْلُهُ «الرَّجُلُ» يَعْنِي الْإِنْسَانَ عَلَى دِينِ حَلِيلِهِ» أَيُّ عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ «فَلْيَنْظُرْ» أَيُّ فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ «مَنْ يُجَالِسُ» مِنَ الْمُخَالَاتَةِ وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَاهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبَهُ فَإِنَّ الطَّبَاعَ سَرَّافَةً وَالصُّحْبَةَ مُؤَثَّرَةً فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ وَإِفْسَادِهِ

قَالَ الْغَزَالِيُّ: مُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ وَمُخَالَطَتُهُ تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الرَّاهِدِ وَمُخَالَاتَتُهُ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشْبِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِلِ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي. اهـ

وكم من محب للخير والسنة حين جالس أهل الأهواء والبدع والضلالات تأثر بهم، وماهي إلا أيام وإذا به على طريقته، فلهذا لا يمكن للشاب والعبد المسلم أن يستقيم على الكتاب والسنة ما لم تكن رفقة من أهل السنة الداعين إليها العاملين بها، ولهذا قال عمرو بن قيس الملائي: "إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَارْجُهُ، وَإِذَا رَأَيْتُهُ مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَايْأَسْ مِنْهُ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ نَشْئِهِ" وَقَالَ: "إِنَّ الشَّابَّ لَيَنْشَأُ، فَإِنْ أَثَرَ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعِلْمِ كَادَ أَنْ يَسْلَمَ، وَإِنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِمْ كَادَ أَنْ يَعْطَبَ"

كل ذلك لما في المجلس من التأثير والله در من قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فخالل خيارهم... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وقد حذر سلفنا الصالح رحمهم الله من مجالسة أهل البدع فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب ».

وقال أبو قلابة: "لا تُجالسوا أهل الأهواء ولا تُجادلُوهم، فإنِّي لا آمنُ من أنْ يغمسوك في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما يعرفون"

وعن مُصعب بن سعدٍ قال: "لا تُجالس مفتونا فإنه لن يُخطئك منه إحدى خصلتين: إمَّا أن يفتنك فتتابعه، أو يؤذيك قبل أن تُفارقَه"

وكان الحسن يقول: "لا تُجالسوا أهل الأهواء ولا تُجادلُوهم ولا تسمعوا منهم"

ودرج السلف على معرفة البدعي من السني من خلال رفقته وصحبته

□ **وقد ذكر ابن بطّة في الإبانة الكبرى آثارا متفرقة في ذلك**

ومنها:

« قال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدع، أترك كلامه؟ قال: لا، أو تعلّمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اعتبروا الناس بأخداينهم، فإن المرء لا يُجادن إلا من يُعجبه"

وقال الأوزاعي: "من ستر عنا بدعته لم تخف علينا ألفته".

وقال ابن المبارك: من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته.

وقال معاذ بن معاذ: قلت ليحيى بن سعيد: يا أبا سعيد الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جلسيه.

وقال الغلابي: كان يقال: يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة.

وقال ابن عون: من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع.

قال قتادة: "إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله، وشكله، فصاحبوا الصالحين من عباد الله لعلكم أن تكونوا معهم، أو مثلهم"

قال مالك بن دينار: "الناس أجناس كأجناس الطير الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله".

قال الأوزاعي: "يعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته، ويعرف في مجلسه، ويعرف في منطقته"

قال أبو حاتم: قدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذكر لأحمد بن حنبل،

فقال: "انظروا على من نزل، وإلى من يأوي". وقال بشر بن الحارث: "إذا كان

طريقك على صاحب بدعة فغمض عينيك قبل أن تبلغ إليه" وقال ابن المبارك: "إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب

بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق: أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة".

أخذ **عمر بن عبد العزيز** قوماً على شراب، ومعه رجل صائم، فضربه معهم، ف قيل له: إن هذا صائم، فقال: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾

ولهذا قال الفضيل: "ليس للمؤمن أن يقعد مع كل من شاء، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾"

ولما قدم **سفيان الثوري** البصرة، جعل ينظر إلى أمر الربيع - يعني ابن صبيح - وقدره عند الناس، سأل أي شيء مذهبه؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة. قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر. قال: هو قدري «

قال ابن بطة **رحمته الله:** «رحمة الله على سفيان الثوري لقد نطق بالحكمة فصدق وقال بعلم، فوافق الكتاب والسنة، وما توجهه الحكمة ويدركه العيان ويعرفه أهل البصيرة والبيان، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾

وكان السلف عليهم رضوان الله يتحاشون الجلوس مع المبتدعة فهذا الفضيل
 بن عياض يقول: من جلس مع صاحب بدعة فاحذره، ومن جلس مع صاحب
 البدعة لم يعط الحكمة، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من
 حديد، أكل عند اليهودي والنصراني أحب إلي من أن أكل عند صاحب بدعة». اهـ
 فعليك يا أيها الشاب حفظك الله بالثبات مع الصالحين من أهل السنة الذين
 ساروا على نهج سلفهم الأوائل قال الله ﷻ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٢٨)
 وكن آلفاً لأهل السنة تألفهم ويألفونك لما ثبت عند البخاري من حديث
 عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ
 مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا امْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»

ومن مات على السنة فقد مات على الخير كله

«فَعَنْ عَوْنٍ قَالَ: "مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ فَلَهُ بَشِيرٌ بِكُلِّ خَيْرٍ"»

وعن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَأَنَا مُنْكَسِرٌ، فَقَالَ: "مَا لَكَ؟ قُلْتُ:
 "مَاتَ صَدِيقِي لِي. قَالَ: "مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ؟ قُلْتُ: "نَعَمْ. قَالَ: فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ"»

[من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٧٦)]

فإذا علمت هذا توجب عليك العمل بالنصيحة التالية.



النصيحة الرابعة

محبة الصالحين

وذلك لأن محبة الصالحين دينٌ تقترب به إلى الله، وتقترب به من منزلة من تحب في الدنيا والآخرة، فإنك في الدنيا تأخذ من أخلاقه وتتأسى به وتكتسب من صفاته، وأما في الآخرة فتكون معه ولهذا كان أعظم الناس صفاتاً وأخلاقاً هم الصحابة رضوان الله عليهم لصحبتهم لبنينا ﷺ، وأبرك الناس ديناً كذلك، وكذلك هم في الآخرة بتلك المنزلة من رسول الله ﷺ.

■ وانظر هذه الأحاديث التي تبين لك ذلك جلياً

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»

وعند مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة؟» قال: «حُب الله ورسوله، قال: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكرٍ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بِأَعْمَالِهِمْ».

قال الإمام النووي رحمته الله في شرحه على مسلم (١٦ / ١٨٦):

« قوله صلى الله عليه وسلم للذي سأله عن الساعة « ما أعددت لها » قال حب الله ورسوله قال « أنت مع من أحببت » وفي روايات المرء مع من أحب، فيه فضل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين واهل الخير الاحياء والاموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال امرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم اذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال أحب قوما ولما يلحق بهم، قال اهل العربية لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم ان تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه قوله « ما أعددت لها كثير » ضبطوه في المواضع كلها من هذه الاحاديث بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة وهما صحيحان وقوله: « ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة » أي غير الفرائض معناه ما أعددت لها كثير نافلة من صلاة ولا صيام ولا صدقة. اهـ

ولهذا ينسب للشافعي رحمته الله أنه كان يقول:

« أحب الصالحين ولست منهم ... لعلّي أن أنال بهم شفاعاة

وأكره من تجارته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعة »

كل ذلك لما في محبة الصالحين من الخير والسداد والهدى والرشاد، فإنهم لما التقت قلوبهم على حب الله واشتقت أرواحهم لمن أحبوههم ألحقهم الله بهم في منازلهم.

قال ابن كثير رحمته الله (٧ / ١٣١) عند قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: «أي: ساوينا بين الكل في المنزلة، لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا الناقص في العمل، فساويناه بكثير العمل، تفضلا منا ومنه». اهـ

قلت: إن كان هذا فيمن جمعهم نسب في الأبدان في الدنيا فكيف بمن سَمَت أرواحهم وتجلت في محبة الله وهي أعظم وأجل وأكبر من الاجتماع في النسب، فكان من فضل الله ومنتته وكرمه أن جمعهم بمن أحبوههم في الله. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال صاحب عون المعبود (١٤ / ٢٥):

«المرء مع من أحب» يعني من أحب قوماً بالإخلاص يكون من زمريهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم وربما تؤدي تلك المحبة إلى موافقتهم وفيه حث على محبة الصالحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار». اهـ

• ومحبة الصالحين وكره أهل البدع يتولد منه أمور محمودة شرعاً ومنها:

١. الحب في الله والبغض في الله

وهذا من أعظم ما يجتمع عليه الصالحون وخيار الناس، أن محبتهم خالصة لله عز وجل لا لأجل دنيا ولا لأجل مصالح، ولهذا كانوا في ظل عرش الله كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في فتح الباري (٥ / ٣١):

« الرابع: المتحابان في الله عز وجل:

فإن الهوى داع إلى التحاب في غير الله؛ لما في ذلك من طوع النفس أغراضها من الدنيا، فالمتحابان في الله جاهدوا أنفسهما في مخالفة الهوى حَتَّى صار تحابهما وتوادهما في الله من غير غرض دنيوي يشوبه، وهذا عزيز جداً.

ولن يتحابا في الله حَتَّى يجتمعا في الدنيا في ظل الله المعنوي، وَهُوَ تَأْلِيف قلوبهما عَلَى طاعة الله، وإيثار مرضاته وطلب ما عنده، فلهذا اجتمعا يوم القيامة في ظل الله الحسي.

وقوله: « اجتمعا عَلَى ذَلِكَ وتفرقا عَلَيْهِ » يحتمل أَنَّهُ يريد: أَنهما اجتمعا عَلَى التحاب في الله حَتَّى فرق بَيْنَهُمَا الموت في الدنيا أو غيبة أحدهما عَنِ الآخر، ويحتمل أَنَّهُ أراد أَنهما اجتمعا عَلَى التحاب في الله، فَإِنْ تَغَيَّر أحدهما عما كَانَ عَلَيْهِ مِمَّا توجب محبته في الله فارقه الآخر بسبب ذَلِكَ، فيدور تحابيهما عَلَى طاعة الله وجوداً وعدماً.

قَالَ بعض السلف: إِذَا كَانَ لَكَ أَخ تحبه في الله، فَأَحْدَثَ حَدَثًا فَلَمْ تُبْغِضْهُ فِي الله لَمْ تَكُن محبتك لله - أو هَذَا المعنى ». اهـ

ومن أحب في الله أحبه الله

فقد ثبت عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَذْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُوبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ »

وروى الإمام مالك في الموطأ عن أبي إدريس الخولاني؛ أَنَّهُ قَالَ: « دَخَلْتُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ . فَإِذَا فَتًى شَابُّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا . وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ ، أَسْنَدُوا إِلَيْهِ . وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، هَجَرْتُ . فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ . وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي . قَالَ : فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ . ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ لِلَّهِ ، فَقَالَ : اللَّهُ؟ قَالَ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ . فَقَالَ : اللَّهُ؟ فَقُلْتُ : اللَّهُ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِحُبُورَةِ رِدَائِي فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ . وَقَالَ : أَبَشِّرْ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ .

وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ . وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ . وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » [صحيح الجامع للألباني (٤٣٣١)]

ومن أحب في الله زاد إيمانه

روى البيهقي رحمته الله في شعب الإيوان عن معاوية بن سويد رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا نَتَحَدَّثُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « أَتَذَرُونَ أَيَّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ » فَقَالُوا : الصَّلَاةُ ، فَقَالَ : « إِنَّ الصَّلَاةَ لِحَسَنَةٌ ، وَمَا هِيَ بِهَا » . فَقَالُوا : الْجِهَادُ فَقَالَ : « إِنَّ الْجِهَادَ لِحَسَنٌ ، وَمَا هُوَ بِهِ » . فَقَالُوا : الْحُجُّ . فَقَالَ : « حَسَنٌ ، وَلَيْسَ بِهِ » . فَقَالُوا : الصِّيَامُ ، فَقَالَ : « الصِّيَامُ لِحَسَنٌ ، وَلَيْسَ بِهِ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتُبْعِضَ لَهُ »^(١)

وروى البيهقي في " جزء الاعتقاد " عن أبي أمامة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْعَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » [ورجاله ثقات وحسنه الألباني في الترغيب (٣٠٢٨)] بزيادة « وأنكح لله »

ومن أحب في الله أمين من الفرع الأكبر

أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيبُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ » فَجِئْنَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا وَحَلِّهِمْ لَنَا. قَالَ: « قَوْمٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللَّهِ وَتَحَابُّوا فِيهِ، يَضَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » [الصحيحه (٣٤٦٤)]

ومن أحب في الله ذاق طعم الإيمان:

(١) (حسن) أخرجه أحمد والبيهقي ورجالهم ثقات عدا ليث بن أبي سليم مختلف فيه وقد ضُغِفَ من قبل حفظه فقد اختلط في آخر عمره قال الحافظ في التقریب (صدوق اختلط جدا). وله شاهد عند أحمد من حديث أبي ذر وهو في جزء أبي بكر ابن الأنباري من طريق مجاهد عن أبي ذر (وسنده ضعيف) فمجاهد لم يسمع من أبي ذر، وقد جاء في رواية لأحمد عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر ففيه رجل مبهم، وله شاهد عند البيهقي من حديث ابن مسعود وفيه عقيل الجعدي وهو متروك الحديث، ولآخره شاهد في حلية الأولياء من حديث عائشة، فالحديث حسن على أقل أحواله (وحسنه الألباني في الترغيب)

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»

ومن أحب في الله نال محبة الله

أخرج الإمام مسلم رحمته الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ»

ومن أحب في الله أحبه الله وحبب إليه خلقه:

أخرج الإمام مسلم رحمته الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغَضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

وبوب عليه الإمام النووي رحمته الله (بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ لِعِبَادِهِ)

٢. تميز الحق من الباطل

فإذا كانت المحبة بين الناس للصالحين وأهل السنة وأبغض الناس البدع والمحدثات وأهلها، تميز الحق من الباطل، فتجد الناس يعرفون صاحب الباطل ببغض الناس له فيأوون عنه ويعرفون صاحب الحق بمحبة الناس له فيأوون إليه وهذا من أعظم ثمار الحب في الله والبغض في الله ولولا هذا الأمر لاختلط على الناس الحق من الباطل ولم يتميز المحق من المبطل ولهذا انظر إلى هذا الحديث الذي يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر المهم فيقول كما عند مسلم من حديث ثوبان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »

وفي رواية له من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »

وتمعن في قوله صلى الله عليه وسلم « ظاهرين » والظهور لا يكون إلا بتميز الحق من الباطل.

ولهذا من حكمة الله أنه يبتلي عباده في كل زمان ومكان بالمحن والفتن ليميز الخبيث من الطيب قال الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى

يَمِيزُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

وقال سبحانه ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرَّكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

قال العلامة السعدي رحمه الله في تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٨):

«أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ولم يكن في حكمته أيضا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه». اهـ

وهذه من الحكم الباهرة والأمور الظاهرة في أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ.

ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

ولهذا كانت بعثة النبي ﷺ تميزا بين الحق والباطل فقد أخرج البخاري رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدائر الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس»

قال صاحب مرعاة المفاتيح (١ / ٥٧٤):

«(ومحمد فرق بين الناس) روى مشدداً على صيغة الفعل الماضي، وخففاً أي بسكون الراء والتنوين على المصدر، وصف به للمبالغة كالعدل، أي هو الفارق بين

المؤمن والكافر، والصالح والطالح، إذ به تميزت الأعمال والعمال، وهذا كالتذليل للكلام السابق؛ لأنه مستعمل على معناه ومؤكد له، وفي تمثيل الملائكة إيقاظ للسامعين من رقدة الغفلة وسنة الجهالة، وحث لهم على الاعتصام بالكتاب والسنة، والإعراض عما يخالفهما من البدعة والضلالة . اهـ

٣. قيام أصل من أصول الدين وهو الولاء والبراء:

وهو أصل من أصول الاعتقاد الذي أمر الله سبحانه وتعالى به في كثير من

الآيات قال الله عز وجل ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَا نُوَكِّلُكَ إِنَّا بَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

وقال سبحانه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وقال سبحانه ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

وقال سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

وقال صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الأزواج جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» وأخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فهذا أصل عظيم من أصول الدين، وسوقه قائم إلى يوم القيامة فلا بد من البراءة من الباطل وحزبه وأهله والبعد عنه وبغضه ومن لم يفعل ذلك فيخشى عليه أن يدخل في قول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥١) وهذه عامة الفاعلة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولهذا كان السلف يختبرون الناس بمحبة أهل السنة خاصة

« كَانَ قُتَيْبَةُ يَقُولُ: « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَهْلَ الْحَدِيثِ مِثْلَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَأَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوِيَةَ - وَذَكَرَ قَوْمًا آخَرِينَ - فَإِنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ، وَمَنْ خَالَفَ هَؤُلَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ »

[أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٤/١)]

بل قبل ذلك رسول الله ﷺ حيث قال في الأنصار « الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » أخرجه عن البراء رضي الله عنه.

وقال علي رضي الله عنه « وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ » [أخرجه مسلم]

والمعنى لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

وهذا اختبار في محبة الصالحين فمن أحبهم فهو المؤمن ومن أبغضهم فهو المنافق. وأهل السنة يدخلون في هذا الوصف لأنهم من أعظم الناس نصرة لدين الله فهم أنصار الله ولدين الله.

وهذه المحبة افتقدها الناس كثير نظراً لجهلهم وعدم علمهم ولزهدهم في العلم وأهله فخفي عليهم الصالح من الطالح والمصلح من المفسد لهذا كان لابد من حث الشباب على العمل بالنصيحة التالية وهي.



النصيحة الخامسة طلب العلم الشرعي

فطلب العلم فضيلة لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم وأما عامة الناس وأكثرهم فهم زاهدون فيه جاهلون قدر العلم وأهله،

□ وقد رَغِبَ النبي ﷺ في طلب العلم وحث عليه في أحاديث كثيرة
ويبين فيها فضل طلب العلم وفضيلة طالب العلم ومن ذلك:

• أن الملائكة تتواضع لطالب العلم

أخرج أحمد وغيره عن زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رضي الله عنه فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ قَالَ فَقُلْتُ جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَا مِنْ خَارِجٍ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ » [صحيح الترغيب (٨٥)]

• أن طلب العلم من أوسع أبواب الرزق

روى الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ » [الصحيح (٢٧٦٩)]

ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم بلفظ « أَنْ أَخَوَيْنِ، كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحَدُهُمَا يَحْضُرُ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَمَجْلِسُهُ وَكَانَ الْآخَرُ يُقْبَلُ عَلَى صَنْعَتِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخِي لَا يُعِينُنِي بِشَيْءٍ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» [وسنده صحيح]

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى (٧ / ٨):

«قَوْلُهُ «كَانَ أَخَوَانِ» أَيِ اثْنَانِ مِنَ الْإِخْوَانِ «عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَيِ فِي زَمَنِهِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ «وَالْآخَرُ يُخْتَرِفُ» أَيِ يَكْتَسِبُ أَسْبَابَ الْمَعِيشَةِ فَكَأَنَّهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ مَعًا «فَشَكَا الْمُخْتَرِفُ» أَيِ فِي عَدَمِ مُسَاعَدَةِ أَخِيهِ إِيَّاهُ فِي حِرْفَتِهِ وَفِي كَسْبِ آخِرِ مَعِيشَتِهِ فَقَالَ «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» بِصِغَةِ الْمُجْهُولِ أَيِ أَرْجُو وَأَخَافُ أَنَّكَ مَرْزُوقٌ بِبَرَكَتِهِ لِأَنَّهُ مَرْزُوقٌ بِحِرْفَتِكَ فَلَا تَمْتَنُ عَلَيْهِ بِصَنْعَتِكَ.

قَالَ الطَّبِيبِيُّ: وَمَعْنَى لَعَلَّ فِي قَوْلِهِ لَعَلَّكَ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَفِيدُ الْقُطْعَ وَالتَّوْبِيخَ كَمَا وَرَدَ فَهَلْ تُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ وَأَنْ يَرْجِعَ الْمُخَاطَبُ لِيَبْعَثَهُ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ فَيَنْتَصِفَ مِنْ نَفْسِهِ». انتهى.

• أن طالب العلم تستغفر له الملائكة

روى ابن ماجه في سننه عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِحَدِيثِ بَلْعَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا،

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ» .(((

قال السندي في حاشيته على ابن ماجه (١ / ٩٧):

«يَسْتَغْفِرُ لَهُ» إِذَا لَحِقَهُ ذَنْبٌ وَمُجَازَاةٌ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِغُمُومِ نَفْعِ الْعِلْمِ فَإِنَّ مَصَالِحَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَنَافِعَهُ مُنَوِّطَةٌ بِهِ وَالْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ جَمْعُ حُوتٍ وَفِي رِوَايَةٍ فِي الْبَحْرِ قَوْلُهُ «كَفَضْلِ الْقَمَرِ» فَإِنَّ كَمَالَ الْعِلْمِ كَمَالُ يَتَعَدَّى أَثَرُهُ إِلَى الْغَيْرِ وَكَمَالُ الْعِبَادَةِ كَمَالُ غَيْرِ مُتَعَدِّ أَثَرُهُ فَشَابَهُ الْأَوَّلُ بِنُورِ الْقَمَرِ وَالثَّانِي بِنُورِ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ كَمَالَ الْعِلْمِ لَيْسَ لِلْعَالِمِ مِنْ ذَاتِهِ بَلْ تَلَقَّاهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَنُورِ الْقَمَرِ فَإِنَّهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ ثُمَّ الْمُرَادُ بِالْعَالِمِ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْإِسْتِغَالُ بِالْعِلْمِ مَعَ اشْتِغَالِهِ بِالْأَعْمَالِ الضَّرُورِيَّةِ وَبِالْعَابِدِ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ مَعَ أَطْلَاعِهِ عَلَى الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَبِمَعْزِلٍ عَنِ الْفَضْلِ «لَمْ يُورَثُوا» مِنَ التَّوْرِيثِ «أَخَذَهُ بِحِطٍّ» نَصِيبٍ «وَافِرٍ» تَامٌّ . اهـ

• أن طالب العلم يأوي إلى الله

عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحُلُقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَادْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» أخرجه

قال ابن بطال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١ / ١٤٨):

« قال المهلب: فيه من الفقه: أن من جلس إلى حلقة فيها علم أو ذكر أنه في كنف الله وفي إيوائه، وهو ممن تضع له الملائكة أجنحتها، وكذلك يجب على العالم أن يؤوى من جلس إليه متعلماً لقوله: فأواه الله.

وفيه من الفقه أن من قصد العلم، ومجالسه، فاستحيا ممن قصده، ولم يمنعه الحياء من التعلم، ومجالسة العلماء، أن الله يستحي منه فلا يعذبه جزاء استحياؤه. وقد قالت عائشة: تمت نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين، فالحياء المذموم في العلم هو الذي يبعث على ترك التعلم.

وفيه أيضًا أن من قصد العلم ومجالسه، ثم أعرض عنها، فإن الله يعرض عنه، ومن أعرض الله عنه فقد تعرض لسخطه، ألا ترى قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ وهذا انسلخ من إيواء الله بإعراضه عنه. اهـ

• أن طالب العلم خارج في سبيل الله

روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(١)

• أن طلب العلم رفعة في الدرجات

قال الله عز وجل ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قال القرطبي رحمته الله في الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ٢٩٩):

«قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم. وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه

(١) (حديث حسن) فيه عيسى بن ماهان وهو ضعيف سبي الحفظ وله شاهد عند الطبراني من حديث صفوان بن عسال وفيه الحسين بن خالد الضرير وهو ضعيف وبه يحسن الحديث إن شاء الله وقد كان العلامة الألباني يضعفه ثم رجع إلى تحسينه.

يرفع الله الذين أتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به . اهـ

• أنه كلما ازداد العبد في الطلب ازداد خشية

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٦ / ٥٤٤):

« أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنی - كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر . اهـ

• من طلب العلم فقد علت همته

أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « مَنَّهُوْمَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنَّهُوْمٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنَّهُوْمٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا » .

[صححه الألباني والوادعي في الصحيح المسند (٥١)]

• أن من طلب العلم فقد أراد الله به الخير

في الصحيحين من حديث مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي »

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٦ / ١٠):

« **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴿٢٢﴾ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ** ^ط **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ** ﴿٢٣﴾ **قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ﴿٢١﴾ **فَقُولَ لَهُ** ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ **لم يرد به مجرد إسماع الصوت لو جهين:**

أحدهما: أن هذا السماع لا بد منه ولا تقوم الحجة على المدعويين إلا به كما قال وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وقال لأنذركم به ومن بلغ وقال وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا

والثاني: أنه و حده لا ينفع فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن وكفروا به كما تقدم بخلاف إسماع الفقه فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير وهذا نظير ما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وهذه الآية والحديث يدلان على أن من لم يحصل له السماع الذى يفقه معه القول فإن الله لم يعلم فيه خيرا ولم يرد به خيرا وأن من علم الله فيه خيرا أو أراد به خيرا فلا بد أن يسمعه ويفقهه إذ الحديث قد بين أن كل من يرد الله به خيرا يفقهه فالأول مستلزم للثاني والصيغة عامة فمن لم يفقهه لم يكن داخلا في العموم فلا يكون الله أراد به خيرا وقد انتفى في حقه اللازم فينتفى الملزوم

وكذلك قوله ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ بين أن الأول شرط للثاني شرطا نحويا وهو ملزوم وسبب فيقتضى أن كل من علم الله فيه خيرا أسمع هذا الإسماع فمن لم يسمعه إياه لم يكن قد علم فيه خيرا فتدبر كيف وجب هذا السماع وهذا الفقه وهذا حال المؤمنين بخلاف الذين يقولون بسماع لا فقه معه أو فقه لا سماع معه أعنى هذا السماع . اهـ

وهذا كلام مرصين لمن تأمله، وهنيئاً لمن مرزقه الله فهمه.

• أن طلاب العلم أوصى النبي ﷺ بهم خيراً

أخرج الحاكم في مستدركه وأبو تمام في فوائده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ: مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقْنُوهُمْ». - قال المصري - قُلْتُ لِلْحَكَمِ: مَا اقْنُوهُمْ؟ قَالَ: عَلَّمُوهُمْ. [الصحيحه (٢٨٠)]

• أن طلب العلم من أفضل الطرق وأوسعها إلى الجنة

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»

ولا يستخف الشاب المسلم بطلب العلم فقد طلبه من هو خير منه ولهذا بوب

الإمام البخاري رحمه الله (بَابُ الْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ)

قال « وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ رضي الله عنه فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ »

قلت: وقصة رحيل جابر ذكرها الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترت بغيراً ثم شددت عليه رجلي فسررت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعته قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا بِهِمَا قَالَ قُلْنَا وَمَا بِهِمَا قَالَ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَانُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ قُلْنَا كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بِهِمَا قَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » .

وكانت رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في طلبه لهذا الحديث من المدينة إلى مصر .

فيالله العجب على عظم هذه المهمة في طلب حديث رسول الله ﷺ والتفقه في دين الله سبحانه عند هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير البرية بعد الرسل والأنبياء بما لا نجده في كثير من أهل هذا الزمان الذين زهدوا في العلم وهو في أوساطهم فضلا عن الرحلة في طلبه.

ولا غرابة في ذلك فأولئك الرجال تربوا على حب رسول الله ﷺ وحب العلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فشدوا لأجلها الرواحل وصرفوا لأجلها الهمم لعلمهم أنه من أشرف ما يطلبه العبد في هذه الحياة الدنيا إن لم يكن أشرفها على الإطلاق.

ولا غرابة في أن يزهد الناس في هذه الأيام في العلم وطلبه لأنه زمن الغربة كما قال عليه الصلاة والسلام «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم ذكر الإمام البخاري رحمه الله قصة موسى عليه السلام ورحلته في طلب العلم.

ورحلة موسى معروفة مذكورة في كتاب الله قال الله سبحانه عنها ﴿وَاذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ نَاصِبًا ﴿٦٢﴾

وأخرج الإمام البخاري رحمته الله عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:
«إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ، لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ
النَّاسِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي
عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ، قَالَ: تَأْخُذُ
مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدَتِ الْحُوتَ فَهُوَ، ثُمَّ فَاتَّخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي
مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَى الصَّخْرَةَ وَضَعَا
رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، ﴿فَاتَّخَذَ
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ،
فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ، فَاِنْطَلَقَا بِقِيَّةِ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتُهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ
مِنْ الْغَدِ، قَالَ مُوسَى ﴿لِفَتَاهُ: أَتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، قَالَ: وَلَمْ
يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ
أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى:
﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، قَالَ: رَجَعَا يُقْصَصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى
انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًى ثَوْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَى
بَارُضُكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ

لِتَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتَغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَفَرَّقَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، قَالَ: ﴿إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧]-

قَالَ: مَائِلٌ - فَقَامَ الْحَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُصَيِّفُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، قَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا »

وانظر إلى هذه الرحلة الشاقة في طلب العلم من نبي من الأنبياء بل من أولي العزم من الرسل.

فنشكو إلى الله كسلنا وتفريطنا وضعف هممنا وتخذيل الشيطان لنا.

ونشكو إلى الله تكالبنا على الدنيا وتسارعنا عليها وتركنا ما ينفعنا في الدنيا والآخرة.

فيا معاشر الشباب الهمة الهمة في طلب العلم بالذات في هذا الزمان الذي تسلط فيه أعداء الله على المسلمين بحملة لتجهيل الناس وصرفهم عن العلم الشرعي ومحبتهم إلى العلوم الدنيوية ومحبتها وإشغال الناس بها عما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وانظر بعين البصيرة إلى همة أهل العلم وشغفهم لطلب العلم

فقد قال يحيى بن يحيى كما في مقدمة موطأ مالك تحقيق الأعظمي (١ / ٦٩):

«اجتمع عند مالك بالمدينة من كان من أهل الفقه، ومن غير أهل المدينة من الأمصار ممن كان عنده طالباً لهذا الأمر في مرضه الذي مات فيه وأنا منهم، فدخلنا عليه ونحن مائة وثلاثون رجلاً فسلمنا عليه ومشى إليه كل واحد منا يقف عليه... نفسه ويسأله عن حاله، فلما فرغنا من فعل ذلك أقبل علينا بوجهه، ثم قال: الحمد لله الذي أضحك وأبكى، والحمد لله الذي أمات وأحيى،... أمر الله، ولا بد من لقاء الله.

فقلنا له: يا أبا عبد الله! كيف تجدك؟

قال: أجدني مستبشراً بصحبة أولياء الله، وهم أهل العلم، وليس شيء أعزّ على الله بعد أنبيائه منهم، ومستبشراً بطلبي هذا الأمر، لأن كل عمل فرضه الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم فقد بشر بثوابه رسوله، فقال: من لزم الصلاة، وحافظ عليها فله كذا وكذا، ومن حجّ بيت الله حجة مبرورة فله عند الله كذا وكذا، ومن جاهد في سبيل الله يريد ما عند الله فله عند الله كذا وكذا، كل هذا قد عرفه من ألهمه الله هذا الأمر إلا طالب هذا الأمر ومعلمه فلم يبلغ علم عالم أن يعلم ما لطالب هذا الأمر عند الله من الكرامة والثواب.

والله لأحدثنكم بحديث حدثني به ربيعة ما حدثتكم به إلى وقتي هذا يقول: والله الذي لا إله إلا هو لرجل يعطى في صلاته فلا يدري كيف يرفعها فيأتيني

مستفتياً فأفتيه فيها بالعلم فأحمله على الصواب خير من أن تكون لي الدنيا كافة منها في الآخرة.

ولأحدثكم بحديث ما حدثتكم به إلى وقتي هذا. والله الذي لا إله إلا هو لست أقول باباً من العلم، ولكني أقول لكم شيء من العلم أسمعته من العالم فيتشابه عليّ بعضه فأقول في نفسي قال لي كذا وكذا فأذكره وقد أخذت مضجعي فأبيت متفكراً فيه حتى أصبح، وإذا أصبحت أتيت فسألته عنه، فلهمتي به خير من مائة حجة مبرورة. اهـ

انظر إلى نعمة عظيمة عند هذا الإمام وكيف يفرح بطلبه للعلم ونسأل الله أن يرزقنا همماً كهَمَمِهِم.

ولا يظن طالب العلم أن طلب العلم يكون في وقت ثم ينتهي، فلقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله "إلى متى تطلب العلم" قال: "من المحبرة إلى المقبرة".

ثم اعلّموا علمني الله وإياكم أن طلب العلم الشرعي بل وغيرها من الأعمال يحتاج إلى مفتاح عظيم وسلاح جليل من تسلح به نجا في الدنيا والآخرة وهو ما ذكرناه في النصيحة السادسة.



النصيحة السادسةالإخلاص في جميع الأعمال

الإخلاص أمره مطلوب وبالذات في طلب العلم، فمن فقد الإخلاص ذهب تبعه سداً وكانت عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة.

وقد أمر الله سبحانه بإخلاص العبادة له، ومن أعظم العبادات طلب العلم الشرعي قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١٠٠﴾

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ وقال ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١١٠﴾

ويقول سبحانه وتعالى ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٠﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢٠٠﴾

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في تفسيره (٢ / ٤٩٠):

« وقال الفضيل في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

قال: أخلصه وأصوبه. وقال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يقبل.

وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، قال:
والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة.

وقد دل على هذا الذي قاله الفضيل قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾

وقال بعض العارفين: إنما تفاضلوا بالإرادات، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة ..

اهـ

*** ومن طلب العلم وتعلمه لدنيا يُصيبها عاقبه الله بعقوبات ومنها:**

• أنه أول من تسعربه نار جهنم:

روى الترمذي في جامعه من طريق الوليد بن أبي الوليد أبي عثمان المدني، أن عتبة بن مسلم، حدثه أن شفيًا الأصبحي، حدثه أنه، دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أسألك بحق وبحق لما حدثني حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلتُه وعلمته، فقال أبو هريرة (رضي الله عنه): أفعل، لأحدثك حديثًا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلتُه وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نشغًا فمكثنا قليلًا ثم أفاق، فقال: لأحدثك حديثًا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما معنا أحد غيري

وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم أفاق فمسح وجهه فقال: أفعل،
لأحدثنك حديثاً حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وهو في هذا البيت ما
معنا أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة رضي الله عنه نشغة شديدة، ثم مال خاراً على
وجهه فأسندته على طويلاً، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم: « أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليَقْضِي بَيْنَهُمْ وَكُلُّ
أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ
كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ.
قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ
لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا
قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَوْسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ
أَدْعَكَ تَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ
أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَآذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى
قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ
أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ » ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم على رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَقَالَ الْوَلِيدُ أَبُو عَثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ « أَنَّ شَفِيئًا، هُوَ الَّذِي

دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا « قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيِّفًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: " قَدْ فَعِلَ بِهِؤَلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَكُلٌّ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ » صححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** وأصله في مسلم دون ذكر القصة.

وهذا حديث عظيم تقشعر منه الأبدان ولولا ضيق المقام لشرحناه شرحاً وافياً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• أنهم لا يريحون رائحة الجنة:

روى الإمام أبو داود في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَنَعَّى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». يَعْنِي رِيحَهَا. [صحيح الترغيب (١٠٥)]

• أنه متوعد بالنار:

وخرَجَ الترمذِيُّ من حديثِ كعبِ بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ ». [صحيح الترغيب (١٠٦)]

وعند ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه: « لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، لَتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا لِتُخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَالنَّارَ النَّارَ ».

ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه: « لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ثَلَاثَ: لِتُمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِتُجَادِلُوا بِهِ الْفُقَهَاءَ، أَوْ لِتَصْرِفُوا بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، وَابْتَغُوا بِقَوْلِكُمْ وَفَعَلِكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَبْقَى وَيَذْهَبُ مَا سِوَاهُ ».

● لا يكون له في الآخرة نصيب

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بَشُرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالذِّينِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ ». [صحيح الترغيب (٢٣)]

قال الحافظ ابن رجب في الفتح بعد أن سرد هذه الأحاديث:

« واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياءً محضاً، بحيث لا يراؤ به سوى مرآت المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عز وجل ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ وقال تعالى ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾﴾

وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء في قوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم قال: « يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشريكه » وخرجه ابن ماجه

... وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يُحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه

الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحاً أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازى بنبيّه الأولى، وهو مروى عن الحسن البصري وغيره . اهـ

قال البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٣ / ٢٦٧):

« فَضَّلَ قَالَ: وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ تَعَلُّمُهُ وَلِلْعَالَمِ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيمُهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ لَا يُرِيدُ بِالتَّعَلُّمِ أَنْ يَكْسِبَ بِمَا تَعَلَّمَهُ مَالًا أَوْ يَزْدَادَ بِهِ فِي النَّاسِ جَاهًا، أَوْ عَلَى أَقْرَانِهِ اسْتِعْلَاءً أَوْ لِأَصْدَادِهِ إِفْهَاعًا، وَلَا يُرِيدُ الْعَالَمُ بِتَعْلِيمِهِ أَنْ يُكْثِرَ الْآخَرُونَ عَنْهُ، وَإِذَا أَحْصُوا وَجَدُوا أَكْثَرَ مِنَ الْآخِذِينَ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ أَظْهَرَ فِي النَّاسِ مِنْ عِلْمِ غَيْرِهِ، وَيُرِيدُ الْعَالَمُ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ بِنَشْرِ مَا حُصِّلَ عِنْدَهُ، وَإِحْيَاءَ مَعَالِمِ الدِّينِ وَصِيَانَتِهَا عَنْ أَنْ يَدْرُسَ كَمَا رَوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: "لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَمَا حَدَّثْتُمْكُمْ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وَيُرِيدُ الْمُتَعَلِّمُ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَطَلَبَ عِلْمَ الدِّينِ لِيَصِلَ بِمَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ عَنْهُ، وَأَنْ يَكْثُرَ الْعُلَمَاءُ، فَيَكُونَ ذَلِكَ أَحْوَطَ لِلْعِلْمِ، وَأَحْرَى لِبِقَائِهِ إِنْ انْقَرَضَ أَحَدُهُمْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ » . اهـ

وهذا الكلام يقودنا إلى النصيحة السابعة.



النصيحة السابعة

العمل بالعلم

وهذه ثمرة العلم والإخلاص ألا وهي العمل بالعلم وما تجد آية في كتاب الله إلا والله عز وجل يجمع فيها بين العلم والعمل ومن هذه الآيات:

■ قول الله سبحانه ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٨ / ٤٨٠):

« فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقذار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. » اهـ

■ ومنها قوله سبحانه ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا

قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله في جامع البيان (١ / ٣٨٣):

« أما قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ فإنه يعني: أخبرهم. والبشارة أصلها الخبرُ بما يُسرُّ به المخبرُ، إذا كان سابقاً به كل مخيرٍ سواه.

وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه، وصدّقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد، بشر من صدّقك أنك رسولي - وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي، وحقّق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه، وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه - أن له جنات تجري من تحتها الأنهار، خاصة، دون من كذب بك وأنكر ما جئته به من الهدى من عندي وعاندك، ودون من أظهر تصديقك، وأقر أن ما جئته به فمن عندي قولاً وجحدته اعتقاداً، ولم يحققه عملاً. فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة، مُعدةٌ عندي. » اهـ

■ ومنها قوله سبحانه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

لذَنبِكَ﴾

بواب الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه فقال (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)

قال الحافظ رحمته الله في الفتح (١/ ١٦٠):

« قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران الا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع الا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه قوله فبدأ بالعلم أي حيث قال فاعلم أنه لا إله الا الله ثم قال واستغفر لذنبك والخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو متناول لأمرته ». اهـ

والآيات في ذلك كثيرة التي يجمع الله فيها بين الإيمان والعمل الصالح.

وهذان أمران متلازمان فلا بد أولاً من العلم الذي به يعرف العبد المسلم أمور دينه ثم ينطلق إلى العمل بما علم ولا بد، ولقد ذم الله سبحانه وتعالى اليهود الذين تركوا العمل بعد علمهم فقال سبحانه ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٦ وقال سبحانه ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال سبحانه وتعالى عنهم ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ ٣٣

وهذا جحود العمل بعد معرفتهم وعلمهم بالحق.

قال سبحانه وتعالى عنهم ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾

وقال سبحانه وتعالى عنهم ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ^{قَدِيرٍ} إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٩٩﴾

قال العلامة عبد العزيز الراجحي حفظه الله في تعليقه على تفسير ابن كثير:

« في هذه الآية الكريمة بيان فضل الله تعالى وإحسانه إلى عباده المؤمنين حيث أخبرهم بعداوة أعدائهم من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وأنهم لا يودون الخير للمسلمين، وإنما يودون أن يعودوا كفاراً مثلهم فيدخلون معهم النار نسأل الله العافية؛ ولهذا قال تعالى ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لا عن جهل بل عن بصيرة

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ هذا هو حال الكفرة من اليهود والنصارى والمشركين فهم لا يودون الخير للمسلمين وإنما يودون أن يكونوا مثلهم، ولا يرضون عنهم حتى يساووهم في الكفر؛ ولهذا قال سبحانه في الآية الأخرى ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وقال سبحانه في هذه الآية:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: من قبل أنفسهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فاليهود والنصارى أنزل الله عليهم الكتب، أنزل الله على موسى التوراة، وأنزل على عيسى الإنجيل، فقرأ اليهود والنصارى التوراة والإنجيل فعرفوا نبي هذه الأمة، وعرفوا أن المسلمين على الحق ولكن لوجود البغي والحسد في أنفسهم صاروا يكدون على الإسلام وأهله.

فالله تعالى أخبر عباده بعبادة اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين، **يقول الله تعالى** عنهم في آية أخرى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أي: تكونون مثلهم، والكفرة يودون قطع أسباب المدد والخير عن المسلمين، وذلك من شدة حسدهم **كما قال تعالى**: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾

وهذا يفيد الحذر، وأنه ينبغي للمسلم أن يحذر من أعداء الله، ومن كيدهم ومخططاتهم ودسائسهم، ولا سيما في هذا العصر الذي جلب فيه الكفرة على المسلمين الغزو الفكري، حيث وجدت الفضائيات وشبكات الإنترنت التي تهدد الأسرة في عقر دارها، ينشرون عقائدهم، ويدعون الناس إلى أديانهم، وإلى أخلاقهم الخبيثة، كالتفسخ، والعري، والتشكيك في الإسلام وفي أهله وفي أصوله.

فهذا من البلاء والمصائب التي نزلت على الأمة الإسلامية فعظمت الفتنة والتبس الأمر على كثير من الناس، والنتيجة أنك ترى كثيراً من الناس يجتمع عنده الشبهات والشهوات.

فالشبهات تأتي بسبب الفتن التي تلقى في الصحف والمجلات، والإذاعات، والفضائيات، والشبكات، وكل هذه تنشر الفساد والعري والتفسخ.

والشهوات تأتي بسبب انفتاح الدنيا على الناس، ووجود المال بين أيديهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، والمعصوم من عصمه الله. اهـ

قلت: فالكفار يفعلون ذلك ليُضلوا عباد الله المؤمنين، وذلك لمعرفةهم بأن المسلمين على الحق المبين، فكادوا لهم وقعدوا لهم كل مرصداً، وحشدوا لهم كل ما يليهم ويعددهم عن العمل بما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

○ وانظر إلى أولئك النفر من قريش الذين علموا بصدق النبي ﷺ وبصدق ما جاء به لكنهم امتنعوا عن العمل حسداً وجحوداً.

قال العلامة الألباني رحمه الله في مواقف من صحيح السيرة (ص: ٢٦):

« باب مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

روى إسحاق بن راهويه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبلكه.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله؛ ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله؛ ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله؛ إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يآثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ﴾ ﴿١٣﴾ هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن إسحاق «. اهـ

وقال ﷺ:

« ثم روى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال:

إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل:

« يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله »

فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب أهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لا تبعتك.

فانصرف رسول الله ﷺ عليه وسلم وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي والله لا أفعل. » اهـ

فما نفعهم علمهم بصدق رسول الله ﷺ وهم لم يعملوا بما ينفعهم بين يدي الله سبحانه وتعالى ويخلصهم من عذاب الله وسخطه وأليم عقابه.

وقد ذم الله عز وجل المتكلم بما لا يعمل فقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٩):

« وللعلم ست مراتب أولها حسن السؤال، الثانية حسن الانصات والاستماع، الثالثة حسن الفهم، الرابعة الحفظ، الخامسة التعليم، السادسة وهي ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده.

فمن الناس من يجرمه لعدم حسن سؤاله أما لأنه لا يسأل بحال أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها ويدع ما لا غنى له عن معرفته وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين ومن الناس من يجرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والمهارات أثر عنده وأحب إليه من الانصاف وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال من كان حسن الفهم رديء الاستماع لم يقدّر خيره بشيء...

إلى أن قال رحمه الله: الثالث سوء الفهم الرابع عدم الحفظ الخامس عدم نشره وتعليمه فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله وهذا أمر يشهد به الحس والوجود، السادس عدم العمل به فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه فإذا أهمل العمل به نسيه قال

بعض السلف كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به وقال بعض السلف أيضا العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حل وإلا ارتحل فالعمل به من أعظم اسباب حفظه وثباته وترك العمل به إضاعه له فما استدر العلم ولا استجلب بمثل العمل قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ . اهـ

وهذا العلم من لم يعمل به كان حجة عليه يوم القيامة ففي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ »

قال القرطبي رحمته الله في المفهم (٣ / ١٠٣):

« وقوله: « وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ »؛ يعني: أنك إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه كان حجة لك في المواقف التي تُسأل فيها عنه، كمسألة الملكين في القبر، والمسألة عند الميزان، وفي عقبات الصراط، وإن لم تمتثل ذلك احتج به عليك » . اهـ

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فَلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ »

وبوب عليه النووي رحمته الله في شرحه على مسلم (باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعل، وينهى عن المنكر ويفعله)

وهذا شأن كل من كان على البدع والضلالات وهذا حالهم.

ولهذا عدّ النبي صلّى الله عليه وآله من قام بواجبه نحو هؤلاء ممن يقولون ما لا يفعلون عده النبي صلّى الله عليه وآله من المجاهدين وأن هذا الفعل من الجهاد في سبيل الله، وهو صريح الإيمان ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّمَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بَقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ »

قال صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١ / ٢٤١):

« حَوَارِيُونَ: بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَخُفْفَةِ فِي الشَّوَادِ أَيَّ نَاصِرُونَ.

قَالَ الطَّبِيبِيُّ: حَوَارِيُّ الرَّجُلِ صَفْوَتُهُ وَخَالِصَتُهُ الَّذِي أُخْلِصَ وَتَقِيَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَقِيلَ: صَاحِبُ سِرِّهِ وَسَمِّيَ بِذَلِكَ لِخُلُوصِ نِيَّتِهِ وَصَفَاءِ طَوِيلَتِهِ مِنَ الْحَوَرِ بِفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ، وَقِيلَ: الْحَوَارِيُّ الْقِصَارُ بِلُغَةِ النَّبْطِ، وَكَانَ أَصْحَابُ عِيسَى قَصَّارِينَ لِأَنَّهُمْ يُحَوِّرُونَ الثِّيابَ أَيَّ يُبَيِّضُونَهَا فَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْإِسْمُ، ثُمَّ

اَسْتَعِيرَ لِكُلِّ مَنْ يَنْصُرُ نَبِيًّا وَيَتَّبِعْ هُدَاهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ تَشْبِيهًا بِأَوْلَئِكَ «وَأَصْحَابُ» :
يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا تَفْسِيرِيًّا، وَأَنْ يَكُونَ الْأَصْحَابُ غَيْرَ الْحَوَارِيِّينَ أَعْمُ
مِنْهُمْ «يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ»، أَي: بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ «وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ»، أَي: يَتَّبِعُونَهُ فِي أَمْرِهِ
وَنَهْيِهِ «ثُمَّ»: إِمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي التَّرَاخِي الزَّمَانِيِّ وَإِمَّا عَلَى مَعْنَى الْبُعْدِ فِي الْمُرْتَبَةِ
«إِنِّهَا»: الضَّمِيرُ لِلْقِصَّةِ «تَخْلُفُ»: بِضَمِّ اللَّامِ أَي تَحْدُثُ «مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ»: بِضَمِّ
الْخَاءِ جَمْعُ خَلْفٍ بِسُكُونِ اللَّامِ مَعَ فَتْحِ الْخَاءِ الرَّدِيِّ مِنَ الْأَعْقَابِ، أَوْ وَلَدُ السُّوءِ
كَعَدَلٍ وَعُدُولٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩] وَالْخَلْفُ بِفَتْحَتَيْنِ يُجْمَعُ عَلَى أَخْلَافٍ كَمَا يُقَالُ: سَلَفٌ
وَأَسْلَافٌ وَهُوَ الصَّالِحُ مِنْهُمْ (يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ): وَصَفُ الْخُلُوفِ بِأَنَّهُمْ
مُتَّصِفُونَ وَمُتَمَدِّحُونَ. بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ حَيْثُ يَقُولُونَ: فَعَلْنَا مَا أَمَرْنَا وَلَمْ يَفْعَلُوا
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ فَعَلُوا مَا نُهُوا عَنْهُ وَهُوَ الْمُعْنَى بِقَوْلِهِ: «وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ»:
وَهُوَ إِيْمَاءٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ تُحْمَدُوا بِمَا
لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣] وَأَمَّا السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اقْتَدَوْا بِسُنَّةِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ، وَسِيرَةِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انْخَرَطُوا فِي سِلَكِ الَّذِينَ لَا
يَعُصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «فَمَنْ جَاهَدَهُمْ»: جَزَاءُ شَرْطِ مُحْذُوفٍ،
أَي: إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَنْ حَارَبَهُمْ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ «بِيَدِهِ فَهُوَ»: بِضَمِّ الْهَاءِ وَتُسَكَّنُ

«مُؤْمِنٌ»: بِالْهَمْزَةِ وَيُبَدَّلُ «وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ»، أَيْ: أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ «بِقَلْبِهِ»: بِأَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِمْ وَلَوْ قَدَرَ لِحَارِبِهِمْ بِالْيَدِ أَوْ بِاللِّسَانِ «فَهُوَ مُؤْمِنٌ»، قِيلَ: التَّنْكِيرُ فِي مُؤْمِنٍ لِلتَّنَوُّعِ، فَإِنَّ الْأَوَّلَ دَلٌّ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَالثَّالِثَ عَلَى نَقْصَانِهِ، وَالثَّانِي عَلَى الْقَصْدِ فِيهِ «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»: هِيَ اسْمُ لَيْسَ، وَمِنَ الْإِيمَانِ صِفَتُهُ قُدِّمَتْ فَصَارَتْ حَالًا، وَرَاءَ ذَلِكَ خَبَرُهُ، ثُمَّ ذَهَبَ الْمُظْهَرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ فِي الْمُرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُشَارَ بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُنْكَرْ بِالْقَلْبِ رَضِيَ بِالْمُنْكَرِ وَهُوَ كُفْرٌ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُصَدَّرَةُ بِلَيْسَ مَعْطُوفَةً عَلَى الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا بِكَمَالِهَا كَذَا قَالَه الطَّبْيِيُّ.

وَالْأَوَّلُ هُوَ الظَّاهِرُ، أَيْ: وَرَاءَ الْجِهَادِ بِالْقَلْبِ يَعْنِي مَنْ لَمْ يُنْكَرْهُمْ بِالْقَلْبِ بَعْدَ الْعَجْزِ عَنْ جِهَادِهِمْ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ لِأَنَّ أَدْنَى مَرَاتِبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يَسْتَحْسِنَ الْمُعَاصِيَ وَيُنْكَرَهَا بِقَلْبِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ وَدَخَلَ فِيْمَنِ اسْتَحَلَّ مُحَارِمَ اللَّهِ وَاعْتَقَدَ بُطْلَانَ أَحْكَامِهِ. اهـ كلامه

فتنبه أن تكون من هؤلاء الناس الذين يقولون مالا يفعلون فقد أمر الله بجهادهم وبالرد عليهم.

وهذه والله من أعظم صفات أهل البدع والحزبيات الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون وسيأتي الكلام عليهم إن شاء الله.

فالعامل ثمرة العلم وهو ما ينفعك بين يدي الله عز وجل ونذكر هنا

○ بعض ثمرات العمل الصالح ليشمر معاشر الشباب

والشابات إلى العمل الصالح الذي يرضيه ربنا سبحانه وتعالى.

(١) أن الله سبحانه وتعالى يحبهم

ولو لم تكن إلا هذه لكفتهم دليل ذلك ما ثبت عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»

وكثرة النوافل هي التكثر والإكثار من الأعمال صالحة.

وانظر إلى ما يجنيه هذا العبد من محبة الله له في هذا الحديث

أولها: أن الله يهلك من عاداه.

ثانيها: أن الله يسدد جوارحه في أعمال البر والخير.

ثالثها: يصير مستجاب الدعوة.

رابعها: أن الله يكره ما يكره.

قال ابن الجوزي رحمته الله في كشف المشكل (ص: ١٠٠٧):

« في هذا الحديث إشكالات سبعة أحدها أن يقال كيف يعادي الإنسان الأولياء والأولياء قد تركوا الدنيا وانفردوا عن الخلق فإن جهل عليهم جاهل حلموا والعداوة إنما تكون عن خصومة والإشكال الثاني قوله « فقد آذنته بالحرب » وكيف يتصور الحرب بين الخالق والمخلوق والمحارب مناظر وهذا المخلوق في أسر قبضة الخالق والإشكال الثالث « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه » والعادة قد جرت بأن التقرب يكون بما لا يجب كالهدايا إلى الملوك دون أداء الخراج فإن مؤدي اللازم لا يكاد يحمد وإنما يشكر من فعل ما لا يجب والرابع أن يقال فإذا كانت الفرائض أفضل القربات فكيف أثمرت النوافل المحبة ولم تثمرها الفرائض والخامس قوله « كنت سمعه وبصره ويده » فما صورة هذا والسادس قوله « ولئن سألتني لأعطينه » وكم قد رأينا من عابد وصالح يدعو ويبالغ ولا يرى إجابة والسابع قوله « وما ترددت عن شيء » والتردد إنما يقع إذا أشكلت المصلحة في العواقب وذلك ينشأ عن ضعف التدبير والحق عز وجل منزّه عن ذلك والجواب أما الإشكال الأول

فإن معاداة الأولياء يقع من أربعة أوجه أحدها أن يعاديه الإنسان عصبية لغيرهم كما يعادي الرافضي أبا بكر وعمر والثاني مخالفة لمذهبهم كما يعادي أهل البدع أحمد ابن حنبل والثالث احتقاراً لهم فيكون الفعل بهم فعل الأعداء كما كان بعض الجهال يحصب أويساً القرني والرابع أنه قد يكون بين الولي وبين الناس معاملات وخصومات وليس كل الأولياء ينفردون في الزوايا قرب ولي في السوق وأما الإشكال الثاني فإن الإنسان إنما خوطب بما يعقل ونهاية العداوة الحرب ومحاربة الله عز وجل للإنسان أن يهلكه وتقدير الكلام فقد تعرض لإهلاكه إياه وأما الإشكال الثالث فإن في أداء الواجبات احتراماً للأمر وتعظيماً للأمر وبذلك الانقياد تظهر عظمة الربوبية ويبين ذل العبودية وأما الرابع فإنه لما أدى المؤمن جميع الواجبات ثم زاد بالتفعل وقعت المحبة لقصد التقرب لأن مؤدي الفرض ربما فعله خوفاً من العقاب والمتقرب بالتفعل لا يفعله إلا إيثارة للخدمة والقرب فيثمر له ذلك مقصوده وأما الخامس فإن قوله « كنت سمعه وبصره » مثل وله أربعة أوجه أحدهما كنت كسمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح والثاني أن كليته مشغولة فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يبصر إلا عن أمري والثالث أن المعنى أني أحصل له مقاصده كما يناله بسمعه وبصره والرابع كنت له في العون والنصرة كبصره ويده اللذين يعاونانه على عدوه وأما السادس فإنه

ما سئل ولي قط إلا وأجيب وإلا أنه قد تؤخر الإجابة لمصلحة وقد يسأل ما يظن فيه مصلحة ولا يكون فيه مصلحة فيعوض سواه... » إلى آخر ما قال.

٢) أن الله يحبهم إلى خلقه

قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦ ﴾

روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ »، قَالَ: « فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦ ﴾ وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فَلَانًا، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ »

وهو في الصحيحين دون ذكر الآية.

٣) يأمنون من كل خوف ويُمكِّنُ الله لهم في الأرض

قال الله سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

٤) أنهم ينجون من الخسارة

قال الله سبحانه ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

٥) ينعمون بحياة طيبة في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة

قال الله سبحانه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾
وغيرها من ثمار الأعمال الصالحة

فالتشمير التشمير عن ساعة الجد والمبادرة للأعمال الصالحة قبل أن تقطعكم الفتن عن العمل، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِنِي كَافِرًا، أَوْ يُؤْمِنِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»

والخائف الوجل من ربه يبادر بالعمل ولا ينام وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْحَنَّةُ» [الصحيحة (٢٣٣٥)]

قال المباركفوري رحمته الله في تحفة الأحوذى (١٢٣ / ٧):

«قَوْلُهُ «مَنْ خَافَ» أَيِ النَّيَّاتِ وَالْإِغَارَةِ مِنَ الْعَدُوِّ وَقَتِ السَّحَرِ «أَدْلَجَ» بِالتَّخْفِيفِ مِنْ سَارِ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَبِالتَّشْدِيدِ مِنْ آخِرِهِ «وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمُنْزَلَ» أَيِ وَصَلَ إِلَى الْمَطْلَبِ قَالَ الطَّيِّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَالِكِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى طَرِيقِهِ وَالنَّفْسَ وَأَمَانِيَهُ الْكَاذِبَةَ أَعْوَانُهُ فَإِنْ تَقَيَّظَ فِي مَسِيرِهِ وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي عَمَلِهِ أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ بِأَعْوَانِهِ ثُمَّ أَرشَدَ إِلَى أَنَّ سُلوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ صَعْبٌ وَتَحْصِيلُ الْآخِرَةِ مُتَعَسِّرٌ لَا يَحْصُلُ بِأَدْنَى سَعْيٍ فَقَالَ «أَلَا» بِالتَّخْفِيفِ لِلتَّنْبِيهِ «إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ» أَيِ مِنْ مَتَاعِهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ «غَالِيَةٌ» بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيِ رَفِيعَةُ الْقَدْرِ «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» يَعْنِي ثَمَنُهَا الْأَعْمَالُ الْبَاقِيَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَبِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ . اهـ

وهذه الأعمال الصالحة هي زادك إلى الآخرة وقد قال الله في الحديث القدسي « يَا عِبَادِيَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » [أخرجه مسلم عن أبي ذر]

ومن أهم هذه الأعمال الصالحة التي تنفعك في الدنيا والآخرة هي ما ذكرناها في

النصيحة القادمة ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ .

النصيحة الثامنة

الحفاظ على الصلوات

فالصلاة من أعظم أركان الدين فهي الركن الثاني من أركان الدين كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »

• وهي عمود الدين

كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ بن جبل الذي أخرجه أحمد وغيره حيث يقول معاذ رضي الله عنه كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: « لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جَنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ يَعْمَلُونَ { ثُمَّ قَالَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَدُرُوزَةِ سَنَامِهِ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَدُرُوزَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ

بِهِ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُتُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » [وصححه الألباني في الترغيب (٢٨٦٦)]

قال العلامة العباد في شرح سنن أبي داود (٥٩):

« وقوله: إنها عمود الإسلام يدل على عظم شأنها؛ إذ أن البنيان لا يتم ولا يقوم إلا على عمد، وكذلك الخيمة لا تقوم إلا على عمود أو على أعمدة، وإذا نزع العمود أو سقط العمود سقط البناء الذي عليها، كل هذا يدلنا على عظم شأن الصلاة في الإسلام ». اهـ

• وهي آخر ما يفقد من الدين

وهذا لعظم شأنها كما في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَيَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُزْوَةٍ فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُزْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِأَلْتِي تَلِيهَا وَأَوَّهْنُ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ » [أخرجه أحمد (الترغيب) (٥٧٢)]

• وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة

فقد أخرج أبو داود في سننه (٨١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَايِكَّتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ

لَهُ تَامَّةٌ وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ آمَتُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتُهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكُمْ»

• وهي وصية رسول الله ﷺ قبل موته

كما جاء عند أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْجِلُجُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ» [الصحيحه (٨٦٨)]

• وهي العهد الذي ينبغي الوفاء به

فقد أخرج أحمد من حديث بريدة رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» [الترغيب (٥٦٤)]

• وهي التي من حافظ عليها كانت له نورا ونجاة يوم القيامة

فقد أخرج أحمد في مسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْيَّاسَ بْنِ خَلَفٍ»^(١)

(١) (سنده حسن) فيه عيسى بن هلال الصدفي وقد وثقه الذهبي في الكاشف ويعقوب الفسوي في "ثقات تابعي مصر" من كتبه المعرفة والتاريخ (٥١٥/٢) [أفادني بتوثيق الفسوي أخونا وهب الذيفاني عن الشيخ أبي بكر الحمادي حفظهم الله جميعا وجزاهم الله خيرا وسمعت شيخنا جميلا الصلوي يحتج به وبحسنه كذلك]

• وهي التي كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون تركها كفرا

روى الترمذي في جامعه (٢٦٢٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ»

○ وقد أمر الله عز وجل بالمحافظة عليها

فقال سبحانه وتعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا

لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ (٢٣٨)

والأمر بالحفاظ عليها يشتمل على أمور ومنها:

▪ أدائها في وقتها:

لقول الله عز وجل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٠٣)

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (١ / ٢٧٩):

« ذكر في هذه الآية الكريمة أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً أي:

شيئاً مكتوباً عليهم واجبا حتما موقوتا أي: له أوقات يجب بدخولها ولم يشر هنا إلى

تلك الأوقات ولكنه أشار لها في مواضع آخر . اهـ

وفي هذا يقول الله سبحانه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩)

قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٥ / ٢٤٣): «قال الأوزاعي، عن موسى بن

سليمان، عن القاسم بن محيصة في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا

الصَّلَاةَ﴾ قال: إنما أضاعوا المواقيت، ولو كان تركاً كان كفراً.

وقال وكيع، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، والحسن بن سعد،

عن ابن مسعود أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ

صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ و ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ و ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال ابن مسعود: على مواقيتها. قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا

على الترك؟ قال: ذاك الكفر.

وقال مسروق: لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس، فيكتب من الغافلين، وفي

إفراطهن الهلكة، وإفراطهن: إضاعتهن عن وقتهن.

وقال الأوزاعي، عن إبراهيم بن يزيد: أن عمر بن عبد العزيز قرأ: ﴿فَخَلَفَ

مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾، ثم قال:

لم تكن إضاعتهم تركها، ولكن أضاعوا الوقت . اهـ

■ أدائها في جماعة المسلمين في المساجد

والأحاديث الواردة في وجوب أدائها في جماعة كثيرة وقد بوب الإمام البخاري

رحمته الله في صحيحه (باب وجوب صلاة الجماعة)

قال وقال الحسن: «إِنْ مَنَعَتْهُ أُمُّهُ عَنِ الْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ شَفَقَةً لَمْ يُطْعَمْهَا»

ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِحَطْبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ أُمَرَ رَجُلًا فَيُؤَمُّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»

وفي رواية لمسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَأُمَرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ، بِحُزْمِ الْحَطْبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا» يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ.

قال ابن رجب رحمه الله في فتح الباري (٤ / ١٤):

«والذي يظهر - والله أعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج هذا الكلام مخرج تعظيم شهور العشاء في جماعة، والتنويه بفضله وشرفه ونفاسته، والنفوس مجبولة على محبة الأشياء الحسنة الشريفة النفيسة، والميل إليها، فوبخ من لو طمع في وجود قطعة من لحم سمينة أو مرماتين حسنتين، وهما من أدنى الأشياء الدنيوية لبادر إلى الخروج إليها، وشهد العشاء لذلك، وهو يتخلف عن شهود العشاء في الجماعة مع فضل الجماعة عند الله، وعظم فضل الجماعة ما يدخره لمن شهدها عنده من جميل

الجزاء وجزيل العطاء، فيكون ما يعجل له وإن كان يسيراً من أمور الدنيا المستحسنة عنده مما يأكله أو يلهو به أهم عنده من ثواب الله الموعود به.

ويشبه هذا: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ۝١١﴾ فإنه توبيخ لمن ترك الجمعة أو اشتغل عنها بالتجارة أو باللهو.

وهذا الحديث: ظاهر في وجوب شهود الجماعة في المساجد، وإجابة المنادي بالصلاة؛ فإن النبي ﷺ أخبر أنه هم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة، ومثل هذه العقوبة الشديدة لا تكون إلا على ترك واجب. اهـ

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أعمى، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى، دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فاجب»

وبوب عليه النووي رحم الله (باب يجب إثبات المسجد على من سمع النداء)

وروى البيهقي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» [صححه الألباني في إرواء الغليل (٥٥١)]

قال الترمذي **رَحِمَهُ اللهُ** " وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: هَذَا عَلَى التَّغْلِيظِ وَالتَّشْدِيدِ، وَلَا رُخْصَةَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ إِلَّا مِنْ عُدْرٍ "

ويكفي من تخلف عن الجماعة رادعاً وزاجراً، أن التخلف عن الجماعة من

صفات المنافقين كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ -بن مسعود- **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ »

وتأمل قوله « وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ »

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (٣ / ٨٤١):

« قَالَ ابْنُ الْهَيْثَمِ: يَعْنِي أَنَّ وَصْفَ النِّفَاقِ يَتَسَبَّبُ عَنِ التَّخَلُّفِ لَا إِخْبَارٍ أَنَّ الْوَاقِعَ أَنَّ التَّخَلُّفَ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ مُنَافِقٍ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَخَلَّفُ كَسَلًا مَعَ صِحَّةِ

الإِسْلَامَ، وَيَقِينِ التَّوْحِيدَ، وَعَدَمِ النِّفَاقِ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ إِنَّمَا يُفِيدُ أَنَّ الْوَاقِعَ إِذْ ذَاكَ أَنَّ لَا يَقَعُ التَّخَلُّفُ إِلَّا مِنْ مُنَافِقٍ». اهـ

فائدة عزيزة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعَشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَآتَى الْمَسْجِدَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي - يَعْنِي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ - مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ » أخرجه في الصحيح

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في نيل الأوطار (٥ / ٢١٦):

« قوله: « على صلاته في بيته وصلاته في سوقه » مقتضاه أن الصلاة في المسجد جماعة تزيد على الصلاة في البيت والسوق جماعة وفردى ولكنه خرج مخرج الغالب في أن من لم يحضر الجماعة في المسجد صلى منفردًا.

قال ابن دقيق العيد: وهو الذي يظهر لي. وقال الحافظ: وهو الراجح في

نظري». اهـ

■ القيام بشروطها وأركانها وواجباتها

أخرج الإمام أحمد من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ »

وفي رواية الترمذي « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لَوْ قَتِلَ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » [الترغيب (٣٧٠)]

قال الزرقاني في شرح الموطأ (١/ ٤٤٥):

« (فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ) قَالَ الْبَاجِي: اخْتِرَازًا مِنَ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا الْإِحْتِرَازَ مِنْهُ إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْعِصْمَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ التَّضْيِيعَ لِلصَّلَاةِ الْمُشَارَ إِلَيْهِ هُنَا أَنْ لَا يُقِيمَ حُدُودَهَا مِنْ مُرَاعَاةِ وَقْتِ وَطَهَارَةِ وَإِتْمَامِ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُصَلِّيَهَا » انتهى.

وأخرج الأصبهاني في "الترغيب" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِنْ الرَّجُلُ لِيُصَلِّيَ سِتِينَ سَنَةً مَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ، لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ » [وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٣٥)]

وهذا أمر شديد والله فكم ترى من عباد الله المصلين الذين لا يتمون الركوع والسجود ولا يطمئنون فيهما ولا يأتون بهما على الوجه المطلوب، وكلما ناصحت واحداً منهم رد عليك بكل برود: المتقبل كريم.

أي أن الله سيتقبل منهم هذه الصلاة ولو لم يأتوا بها كما أمرهم الله، وتغافلوا عن حديث عظيم أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَمْرٌ بَعِيدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِه مِائَةً جَلْدَةً فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلْدْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بَغَيْرِ طَهُورٍ، وَمَرَزْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ» ^(١) وصححه الألباني في الصحيحة

فانظر إلى هذا الذي لا يُعقل أنه صلى بغير وضوء متعمداً، إنها قد يكون -والله أعلم- تهاون في شيء من طهارته ووضوؤه فجُلِدَ هذا الجلد في قبره ويؤيد ذلك ما

(١) (ضعيف جداً) الحديث اغتررت بتصحيه زنا وذلك تبعاً للعلامة الألباني في تصحيحه له، ثم أحببت الوقوف على سنده فرأيت الشيخ الألباني رحمه الله صححه من رواية الطحاوي له وهي من طريق جعفر بن سليمان عن عاصم بن أبي النجود ثم تتبع طرق الحديث فوجدت أن ابن سمعون أخرجه في أماليه من طريق حفص بن سليمان عن عاصم، فنظرت في الرجال فلم أجد رواية لجعفر بن سليمان عن عاصم وإنما الذي يروي عن عاصم هو حفص صاحب القراءات وهو ضعيف في الحديث، فعلمت أنه حصل تصحيح من (حفص إلى جعفر) ويؤيد هذا قول ابن رجب في (أهوال القبور): "ورويته من طريق حفص بن سليمان القارئ وهو ضعيف جداً عن عاصم..." فالحديث ضعيف جداً لضعف حفص

والظاهر أنه أثر عن عمرو بن شريحيل، فقد أورده ابن أبي شيبة والأصبهاني في حلية الأولياء عن عمرو بن شريحيل من قوله ويرجح ذلك أن الأثر مذكور في (الأمالي الخميسية للشجري) من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهذلة، عن أبي إسحاق الهمداني، قال حماد: أحسبته عن عمرو بن شريحيل أن رجلاً أتى في قبره فقيل له: إنا جالدوك... إلى آخره. والله أعلم. والحديث جاء بنحوه عند الطبراني عن ابن عمر وسنده ضعيف أيضاً فيه البائلي وابن نهيك وهما ضعيفان.

ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال « ويل للأعقاب من النار » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره

فكيف بمن فرط في أركانها وواجباتها وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل، فصلّى، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فردّ وقال: « ارجع فصل، فإنك لم تُصل » فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « ارجع فصل، فإنك لم تُصل » ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرهُ، فعلمني، فقال: « إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن ركعاً، ثم ارفع حتى تعدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها »

وبوب عليه الإمام البخاري رحمه الله (باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يُتمُّ ركوعه بالإعادة)

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في فتح الباري (٧ / ١٧٢): « وأكثر أهل العلم على أن إتمام الركوع بالطمأنينة فرض، لا تصح الصلاة بدون ذلك .

قال الترمذي: العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم؛ يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود.

وقال الشافعي وأحمد وإسحاق: من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة؛ لحديث النبي ﷺ « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ».

وهذا الحديث الذي أشار إليه، خرَّجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في " صحيحه " من حديث أبي مسعود الأنصاري، عن النبي ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح.

ولفظ أبي داود: « لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود ».

وإقامة الظهر في الركوع والسجود: هو سكونه من حركته « . اهـ

■ عدم التهاون بها في الصحة والمرض

وقد مر بنا قول ابن مسعود رضى الله عنه « وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ »

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٥ / ١٥٦):

« قوله: « ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف »

معنى يهادى أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما وهو مراده بقوله في الرواية الأولى إن كان المريض ليمشي بين رجلين، وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة

وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها . اهـ

ولقد رأينا والله من إذا مرض ترك الصلاة بحجة أنه مريض وهذا من تسويل الشيطان، وإلا فحريٌّ بالعبد إذا مرض بالذات أن يحافظ على صلاته لأنه لا يدري لعلها آخر أيامه والأعمال بالخواص، فكيف تطيب نفسه وهو يُقبل على ربه وهو تارك للصلاة، وانظر إلى رسول الله ﷺ كيف كان في حال مرضه فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَتَاهُ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ» قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ» فَقُلْتُ: مِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «إِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يَوْمِئِذٍ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ» فَصَلَّى وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَحُطُّ بِرِجْلَيْهِ الْأَرْضَ

الله أكبر هذا رسول الله ﷺ من حرصه على الصلاة وعلى الجماعة بالذات يخرج وهو في مرض موته يهادي به بين رجلين ليخرج إلى الصلاة إلى الله نشكو تقصيرنا في السير على خطى الخليل عليه السلام.

فالحفاظ على الصلاة أمر مطلوب.

ولهذا قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره (١/ ٦٤٥):

« يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها ». اهـ

• بل وكانت من أعظم الأسباب التي يحاسب عليها المجرمون

والكافرون

قال الله عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا الْأَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ﴾ (٣٨) ﴿فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ﴾ (٤٣) ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۖ﴾ (٤٦) ﴿

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان. (١٠ / ٧):

« فالآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام.

أعني امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من كونهم مخاطبين بذلك وأنهم يعذبون على الكفر، ويعذبون على المعاصي، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى عنهم مقررأله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ﴾ (٤٣) ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۖ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ ۖ﴾ (٤٧) ﴿فصرح تعالى عنهم، مقررأله أن من الأسباب التي سلكتهم في سقر، أي أدخلتهم النار، عدم الصلاة، وعدم إطعام المسكين، وعد ذلك مع الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ثم بين سبب ذلك فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ (٣٦)﴾ إلى غير ذلك من الآيات . اهـ

قلت: فإياك والتهاون في أداء الصلاة فإن الله سبحانه وتعالى يخذل من تهاون بها ولا يمكنه من مما يشتهي في تلك الساعة من السجود لخالقه ومولاه.

فقد بوب الإمام البخاري رحمته الله باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾
ثم ذكر حديث أبي سعيد رضي الله عنه رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:
«يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَقْبِي كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»
قال العلامة السعدي رحمته الله في تفسيره عند الآية المذكورة:

«أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرّون

على السجود، وتكون ظهورهم كصيافي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزء ما جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحققت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان. اهـ

وصدق الله عز وجل إذ يقول في كتابه العزيز ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره (١٩ / ٣٢١): « يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَحِيلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ فَرَعُوا، فَلَا قُوَّةَ، وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالُوا آمَنَّا بِهِ

﴿وَيَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَا كَانُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ يَكْفُرُونَ وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ». اهـ

وهذه النصيحة تقودك إلى أمرٍ عظيمٍ وهو السير على نهج النبي ﷺ وعدم مخالفته والتأسي به فهو القائل « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ».

لهذا كان لا بد من النصيحة التالية وهي.



النصيحة التاسعة

التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم

والتأسي بالنبي ﷺ أي الاقتداء به وأن يفعل المؤمن ما كان يفعل نبيه ﷺ مما سيأتي ذكره.

قال ابن منظور في لسان العرب (١٤ / ٣٤):

«وَالْأُسْوَةُ وَالْإِسْوَةُ الْقُدْوَةُ وَيُقَالُ: اتَّسَى بِهِ أَيْ اقْتَدَى بِهِ وَكُنْ مِثْلَهُ»

والتأسي بالنبي ﷺ أمر مطلوب فإن الله عز وجل قد أمرنا بالتأسي بنبينا ﷺ فقال سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦ / ٣٩١):

«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجرُوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿١﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشئائه؟ ولهذا قال: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢﴾ . اهـ

وقد بين النبي ﷺ أن التأسي به من الطرق القويمة لهذا الدين فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا خَشَاكُمُ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»

وعند البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»

وفي السير على هديه وسنته طاعة له عليه الصلاة والسلام.

وبالذات في هذا الزمان الذي هو زمن الموضات والمشابهة لأعداء الله.

فتجد الشاب يتشبه بأعداء الله في لباسهم وفي طريقة قصات شعورهم، بل وحتى في مشيتهم وطريقة كلامهم، وتجد الفتاة الشابة كذلك تتشبه بالكافرات من الممثلات الهنديات وغيرهن في لباسهن للباس الفاضح واللباس الضيق وتسريح شعورهن على هيئتهن، وكذلك يقلدنهن حتى في سلامهن وكلامهن وطريقة مشيهن وحركة أيديهن، بل وصل بهم الحال إلى تقليد الغرب في الفجور والسفور في اتخاذ الأخدان والأصحاب في السر وتعلموا منهم كيف يهرب العاشق مع عشيقته وكيف تخون المرأة زوجها وكيف تُعَفِّر الفتاة سمعة أهلها بالأرض بعمل مثل هذه التصرفات الحمقاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «لَتُبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»

فيجب على معاصر الشباب التأسي بالنبي ﷺ في كل أمورهم فهو خير البشرية ومن حاز الأخلاق الفاضلة فكيف لا يكون لنا أسوة حسنة في كل أمورنا.

• فمن التأسي برسول الله ﷺ إعفاء اللحية: فكم تجد من الشباب

الذين تفتنوا في العبث بلحاهم، وفي كل يوم يظهرون لنا بقصة جديدة، مرة بما يسمونها السكسوكة ومرة بالكعب ومرة يجعلونها خطأ، وهلم جرا.

وقد جاء الأمر من النبي ﷺ بعد التعرض لها بحلق ولا بتقصير كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

« خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ »

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « خَالِفُوا الْمُجُوسَ »

وعنده أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « أَمَرَ بِإِخْفَاءِ الشَّوَارِبِ، وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ »

وهذا يدل دلالة واضحة على أن إعفاء اللحية واجب، لا كما يظن كثير من الجاهل أنها سنة مستحبة من شاء فعلها ومن شاء تركها، والقائل بهذا قائل على الله بغير علم.

■ قال العلامة الألباني رحمته الله وهو يسرد المخالفات التي يقع فيها

حالق اللحية:

« أ- تغيير خلق الله قال تعالى في حق الشيطان:

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّ عَنْهُمْ وَلَا مَنِيَّتَهُمْ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ أَذَانِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

مُبِينًا ﴿١١٩﴾ فهذا نص صريح في أن تغيير خلق الله دون إذن منه تعالى إطاعة لأمر الشيطان وعصيان للرحمن جل جلاله فلا جرم أن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرات خلق الله للحسن كما سبق قريبا ولا شك في دخول اللحية للحسن! في اللعن المذكور بجامع الاشتراك في العلة كما لا يخفى **وإنما قلت:** "دون إذن من الله تعالى" لكيلا يتوهم أنه يدخل في التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها مما أذن فيه الشارع بل استحبه أو أوجبه.

ب- مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم وهو قوله:

«أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى».

ومن المعلوم أن الأمر يفيد الوجوب إلا لقرينة والقرينة هنا مؤكدة للوجوب وهو:

ج- التشبه بالكفار قال ﷺ: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا

المجوس».

ويؤيد الوجوب أيضا:

د- التشبه بالنساء فقد:

«لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات

من النساء بالرجال»

ثم قال ﷺ:

«ومما لا ريب فيه - عند من سلمت فطرته وحسنت طويته - أن كل دليل من هذه الأدلة الأربعة كاف لإثبات وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها فكيف بها مجتمعة؟!»

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويحرم حلق لحيته. كذا في الكواكب الدراري ٢/١٠١/١ وروى ابن عساكر ٢/١٠١/١٣ عن عمر بن عبد العزيز أن حلق اللحية مثله وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة. ولا تغتر أيها الأخ بكثرة المبطلين بهذه المخالفة وإن كان فيهم بعض من ينسبون إلى العلم فإن العمل بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدى والنور فالجهل خير منه ولا سيما إذا استغل هذا العلم في سبيل تأويل النصوص الصريحة وردها تبعاً للهوى وجرياً مع التيار». اهـ

• ومنه تقصير الثوب فيما دون الكعبين

وهذا من التأسي بالنبي ﷺ فقد جاء الأمر من النبي ﷺ برفع الثوب إلى ما دون الكعبين فقال: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ. يَقُولُ ثَلَاثًا: لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا» [أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد وصححه الألباني في المشكاة (٤٣٣١)]

وعند مسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: «مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْحَاءٌ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ»، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «زِدْ»، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ».

وأخرج أحمد عن الشريد بن سويد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَعَ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ، حَتَّى هَرَوَلَ فِي أَثَرِهِ، حَتَّى أَخَذَ ثَوْبَهُ، فَقَالَ: «ارْفَعْ إِزَارَكَ» قَالَ: فَكَشَفَ الرَّجُلُ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحْفُ، وَتَصْطُكَ رُكْبَتَايَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ خَلْقٍ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَسَنٌ»، قَالَ: وَلَمْ يَرِ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَّا وَإِزَارُهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، حَتَّى مَاتَ. [صححه الألباني في الصحيحة (١٤٤١)]

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن إسبال الإزار من أقبح الأفعال، فهي تجر إلى الكبر والبطر وأنها من المخيلة التي يكرهاها الله ويغضها فقد روى أبو داود في سننه عن أبي جريّ جابر بن سليم رضي الله عنه قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ. فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ مَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ» قَالَ قُلْتُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضَرْفٌ فَدَعَوْتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنِيَّةٌ فَدَعَوْتُهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفَرَاءَ أَوْ فَلَاقَةٍ

فَضَلْتُ رَاحِلَتَكَ فَدَعَوْتُهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ « قُلْتُ اعهْدْ إِلَيَّ. قَالَ « لَا تُسَبِّنْ أَحَدًا » قَالَ فَمَا
 سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ « وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
 وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى
 نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَلِإِلَى الْكُعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمُخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُحِبُّ الْمُخِيلَةَ وَإِنْ أَمْرُؤُ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّهَا
 وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ » [الصحيحة للألباني (١١٠٩)]

وكم ترى من الشباب الذين قد فُتِنُوا بلبس البنطال، فترى الواحد منهم يسير
 وكأنه ليس على الأرض مثله، وهذا من دواعي الكبرياء والخيلاء وقد ثبت في
 صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بَيْنَمَا
 رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جَمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ
 حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »

فإذا أراد الشاب السلامة والنجاة فعليه بلبس ما يكون فيه متواضعاً لربه
 كالإزار والرداء^(١) والثوب وما شابهه وعليه بالابتعاد عن هذه البناطيل التي
 جاءت من قبل أعداء الله.

(١) ومنه في هذه الأيام ما يسمونه بالمعوز والشميز فهو خير من هذه البناطيل التي تحجم العورة ويحصل فيها الإسبال ولا يستطيع العبد أن يرفعها إلى نصف الساق أو إلى ما دون الكعبين لكونه مستقبها عندهم كما يزعمون والله المستعان.

• ومنه الإمساك عن فضول الكلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» أخرجه

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)

وقال سبحانه محذرا العباد أنه جعل من يكتب ويحصى كلامهم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَاتُوسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

وقد بين النبي ﷺ أن أكثر ما يدخل الناس النار هذا الكلام إذا لم يضبطه العبد ويقيد لسانه بقيد عظيم كما عند أحمد من حديث معاذ حيث قال «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ ثَكَلَتَكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»

[صححه الألباني في سنن ابن ماجه (٣٩٧٣)]

فكم تجد من المولعين بالقليل والقال والذين شغلوا أنفسهم بالكلام في أعراض الناس والغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعلمون والجدال بالباطل وغير ذلك مما يعود عليه بالوبال.

وأما العبد الذي يمسك لسانه فإنه ينجو من أمور كثيرة ويسلم من سخط الله بإذن الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ صَمَتَ نَجَا » أخرجه أحمد عن ابن عمرو . [الصحيحة (٥٣٦)]

• الأكل باليمين وترك الأكل بالشمال

والأكل بالشمال طامة عصرية يواكب بها المسلمون -إلا ما رحم ربي- التحضر الغربي كما يزعمون، فمن أساسيات التقدم عندهم الأكل بالشمال أو الجمع بين الأكل باليمين والشمال فتجد كثيرا من المتحضرين يمسك السكين بيده اليمنى يقطع بها ما يريد أكله ثم يأخذها بالشوكة أو المعلقة التي يمسكها باليد الشمال ويأكلها.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لَا تَأْكُلُوا بِالشَّامِلِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشَّامِلِ »

وقال كما عند مسلم أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ »

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه « أَنْ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتُ» مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا غَلَامُ سَمَّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قال ابن الأمير في السبل (٢٠ / ٨١):

« وفي الحديث دليل على وجوب الأكل باليمين للأمر به أيضاً ويزيده تأكيداً: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وفعل الشيطان يحرم على الإنسان.

ويزيده تأكيداً: أن رجلاً أكل عنده صلى الله عليه وآله وسلم بشماله فقال: كل بيمينك فقال لا أستطيع قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه. أخرجه مسلم ولا يدعو صلى الله عليه وآله وسلم إلا على من ترك الواجب، وأما كون الدعاء لتكبره فهو محتمل أيضاً ولا ينافي أن الدعاء عليه للأمرين معاً ». اهـ

فينبغي على الشاب العاقل أن يكون مطوعاً لأوامر رسول الله ﷺ والله الموفق.

• ومن التأسى بالنبي ﷺ المبادرة لما ذكرناه في النصيحة العاشرة.



النصيحة العاشرة

الإسراع في الزواج

وما ذاك إلا لكثرة الفتن التي تحاك بالشباب مما يقصد به أعداء الله إفساد أخلاق الشباب وإضاعتهم بما يفسدهم ويعلمهم الخنا والزنا والنظر للمحرمات مما يفسد عليهم حياتهم مع أسرهم وزوجاتهم فيلتهي بالنظر للحرام ويتعد عن الزواج في الحلال.

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [متفق عليه]

وهذان أمران ينتفع به الشاب إذا تزوج مبكرًا:

- أولها غرض البصر:

وقد أمر الله معاشر المؤمنين بذلك فقال ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٣٠ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾ الخ نور: ٣ - ١٣ وذلك لأن النظر مبدأ الخطر وما أحسن قول القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضرّ مهجته لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص: ١٠٥): « وأمر الله تعالى نبيه أن

يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم
مطلع عليها يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر
جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج فإن الحوادث مبدأها من النظر كما أن
معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة ثم خطوة ثم
خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه اللحظات والخطرات واللفظات
والخطوات فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة ويلتزم
الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا
تتبرا فصل

وأكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الأبواب الأربعة فنذكر في كل واحد
منها فصلا يليق به فأما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها أصل حفظ
الفرج فمن أطلق نظره أوردته موارد الهلاك وقد قال النبي يا علي لا تتبع النظرة النظرة
فإنها لك الأولى وليست لك الثانية وفي المسند عنه النظرة سهم مسموم من سهام
إبليس فمن غص بصره عن محاسن امرأة أو أمرد لله أورث في قلبه حلاوة العابدة
إلى يوم القيامة هذا معنى الحديث وقال غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وقال

إياكم والجلوس على الطريق قالوا يا رسول الله مجالسنا مالنا بد منها قال فإن كنتم لا بد فاعلين فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان إن فإن النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة ثم تقوى فتصبر عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع منه مانع . اهـ

ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِفْظَهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَرِزْنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمْتَمِي وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»

• ثانيهما حفظ الفرج:

وقد أمر الله به في كتابه فقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ﴾^٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْكُومِينَ ۖ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ﴾^٧ || مؤمنون: ٥ - ٧

ولهذا من كان تزوج مبكراً حفظ فرجه إن شاء الله وإذا صادفته شهوة عارضة أفرغها في أهله كما ثبت عند أحمد من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَأَتَى زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مِئِنَّةً

فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ وَقَالَ « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُذْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَاكَ يَرُدُّ مِمَّا فِي نَفْسِهِ » [مرواه مسلم]

وفي رواية الترمذي « إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا »

ولسنا نعني أن الشاب بزواجه قد عُصِمَ من فتنة النساء بالكلية، فإن فتنة النساء بالذات في هذا الزمان من أعظم الفتن وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول كما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »

وقال كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ »

ففتنة النساء لا تعادلها فتنة، وصدق سعيد بن المسيب إذ يقول: « لو آمنوني على مثل جبل أحد ذهباً لوجدت نفسي آميناً عليه ولو آمنوني على جارية سوداء لما وجدت نفسي آميناً عليها ».

فإذا تحصن الشاب بالزواج عَفَّ نفسه وابتعد بإذن الله عن هذه الفتنة العظيمة
إن سلمه الله.

• ومنها مما لم يذكر في الحديث الاستقرار النفسي

وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) الروم: ١٢

فإن الشباب الذين يتأخرون عن الزواج كثيراً ما تصيبهم أمراض نفسية وقد
تعيقه بعد ذلك معوقات عن الزواج فيصيبه اليأس والقنوط والعياذ بالله.

• ومنها أنه إكمال لنصف الدين

فقد ثبت عند البيهقي في شعب الإيمان من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدْ كَمُلَ نِصْفُ الدِّينِ،
فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي»

وفي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥ / ٢٠٤٩):

« فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي » أَي: فِي بَقِيَّةِ أُمُورِ دِينِهِ، وَجَعَلَ التَّزَوُّجَ نِصْفًا
مُبَالِغَةً لِحَثِّ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: الْغَالِبُ فِي إِفْسَادِ الدِّينِ الْفَرْجُ وَالْبَطْنُ وَقَدْ كَفَى

بِالتَّزْوِجِ أَحَدَهُمَا، وَلِأَنَّ فِي التَّزْوِجِ التَّحَصُّنَ عَنِ الشَّيْطَانِ، وَكَسَرَ التَّوْقَانِ، وَدَفَعَ غَوَائِلَ الشَّهْوَةِ، وَغَضَّ الْبَصَرَ، وَحَفِظَ الْفَرْجَ». اهـ

• وفيها ستر وإعفاف لمن تزوجها

فكم من فتاة فسدت بسبب تأخر زواجها فتعرفت على شابات سيئات الخلق فأخذن يديها إلى الهلاك وما شعرت بنفسها إلا وقد وقعت في الرذيلة والمحرمات وكل ذلك بسبب تأخر زواجها، فإذا تزوجت من صغرها انشغلت ببيتها وزوجها وأولادها وكفها الله شر الفتن.

• يُلْتَمَسُ فِيهِ الْغِنَى

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ۖ وَمَا يَكُمُ أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٣) فور
قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ رواه ابن جرير

قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري (١٨ / ٨) عند هذه الآية:

« فالإعسار في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في المال وعن علي بن أبي طالب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رغبهم الله تعالى في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد يعني في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

وَمَا يَكُفُّكُمْ ﴿١﴾ ووعدهم عليه الغنى فقال: ﴿٢﴾ إِنَّ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٣﴾ وعن سعيد بن عبد العزيز قال: بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال: ﴿٤﴾ إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٥﴾ رواه ابن أبي حاتم . اهـ

وقال أيضًا: « وقال في مصابيح الجامع: وظاهر الآية وعد كل فقير تزوج بالغنى ووعد الله واجب، فإذا رأينا فقيرًا تزوج ولم يستغن فليس ذلك لإخلاف الوعد حاش لله ولكن لإخلاله هو بالقصد لأن الله تعالى إنما وعد على حسن القصد فمن لم يستغن فليرجع باللوم على نفسه. وقال ابن كثير والمعهود من كرم الله ولطفه رزقه وإياها بما فيه كفاية له ولها، وأما حديث تزوجوا فقراء يغنكم الله فلا أصل له ولم أره بإسناد قوي ولا ضعيف وفي القرآن غنية عنه . » اهـ

قلت: وهذه فائدة مهمة فتمسك بها فإن النية لها شأن عظيم في جميع الأمور.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٢ / ٢٤٢):

« هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقول كيف أتزوج وليس لي مال؛ فإن رزقه على الله. وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم المرأة التي أتته تهب له نفسها لمن ليس له إلا إزار واحد. » اهـ

ثم لا يحمل الشاب همّ المال الذي سيتزوج به مادام قصده العفاف والستر فإن الله يعينه على ذلك كما ثبت عند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة حقّ على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله». [صحيح الترغيب (١٣٠٨)]

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي (٥ / ٢٤٢):

«قَوْلُهُ «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ» أَيُّ ثَابِتٌ عِنْدَهُ إِعَانَتُهُمْ أَوْ وَاجِبٌ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى وَعْدِهِ مُعَاوَنَتُهُمْ «الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أَيُّ بِمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ الْجِهَادُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْآلَاتِ «وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ» أَيُّ بَدَلِ الْكِتَابَةِ «وَالنَّكَاحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعِفَافَ» أَيُّ الْعِفَةِ مِنَ الزَّنى

قَالَ الطَّبْيِيُّ: إِنَّمَا أَثَرُ هَذِهِ الصَّيْغَةِ إِيدَانًا بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ الَّتِي تَفْدَحُ الْإِنْسَانَ وَتَقْصِمُ ظَهْرَهُ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَيْهَا لَا يَقُومُ بِهَا وَأَصْعَبُهَا الْعِفَافُ لِأَنَّهُ قَمْعُ الشَّهْوَةِ الْجَبَلِيَّةِ الْمُرْكُوزَةِ فِيهِ وَهِيَ مُقْتَضَى الْبَهِيمِيَّةِ النَّازِلَةِ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ فَإِذَا اسْتَعَفَّ وَتَدَارَكَهُ عَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى تَرَفَّى إِلَى مَنْزِلَةِ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْلَى عِلِّيِّينَ . اهـ

وكم تعدد من فوائد زواج الشباب في سن مبكرة ففوائده لا يحصيها إلا الله. ولكن ينبغي على الشاب إذا عمل بهذه النصيحة أن يتبعها بما بعدها ولا بد وهي .



النصيحة الحادية عشر

اختيار الزوجة الصالحة

فإن النبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ »

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩ / ١٣٥):

« قوله فاظفر بذات الدين في حديث جابر فعليك بذات الدين والمعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية ». اهـ

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ »

ولهذا كانت المرأة الصالحة من أسباب سعادة المرء فقد أخرج الحاكم في مستدركه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ، فَمِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ فِتْنَتُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِيَّةً فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمُرَافِقِ، وَمِنَ الشَّقَاوَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوؤُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِيبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا

عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالذَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا، فَإِنْ صَرَبَتْهَا أَنْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكَبَهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالذَّارُ تَكُونُ ضَيْقَةً قَلِيلَةً الْمُرَافِقِ » [الصحيحة (١٠٤٧)]

قال المناوي في فيض القدير (٩ / ١٠٦):

« ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاوة فمن السعادة المرأة الصالحة » الدينة العفيفة الجميلة « التي تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسها » فلا تخونك بزنا ولا بسحاق ولا بتبرج ونحو ذلك « ومالك » فلا تخون فيه بسرقة ولا تبذير ». اهـ

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢) نور وانظر إلى قوله ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾.

فالصلاح أمره مطلوب من جانب الرجل ومن جانب المرأة ومن المرأة أشد لأنها تطول صحبتها فإن لم تكن صالحة نكدت عليه حياته وكان في نغص من العيش.

□ والزواج بالمرأة الصالحة له فوائد عظيمة يجنيها الشاب

ومنها:

• أنها تسعى في إرضائه

أخرج النسائي في الكبرى من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوُدُودُ، الْوُلُودُ،

الْعَوْدُ عَلَى زَوْجِهَا، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُذِيَتْ، جَاءَتْ حَتَّى تَأْخُذَ بِيَدِ زَوْجِهَا، ثُمَّ تَقُولُ
وَاللهِ لَا أَذُوقُ غَمًّا حَتَّى تَرْضَى» [الصحيحة (٢٨٧)]

قال المناوي في فيض القدير (٨ / ٧٠):

« أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » قالوا: بلى قال: « الْوُدُودُ » بفتح الواو أي
المتحبة إلى زوجها « الْوُلُودُ » أي الكثيرة الولادة ويعرف في البكر بأقاربها
« الْعَوْدُودُ » بفتح العين المهملة أي التي تعود على زوجها بالنفع « التي إذا
ظلمت » بالبناء للمفعول يعني ظلمها زوجها بنحو تقصير في إنفاق أو جور في قسم
ونحو ذلك « قالت » مستعطفة له « هذه يدي في يدك » أي ذاتي في قبضتك « لا أذوق
غمًّا » بالضم أي لا أذوق نوما يقال أغمضت العين إغماضا وغمضتها تغميضا
أطبقت أجفانها « حتى ترضى » عني فمن اتصفت بهذه الأوصاف منهن فهي خليقة
بكونها من أهل الجنة وقلما نرى فيهن من هذه صفاتها فالمرأة الصالحة كالغراب
الأعصم .

• أنها تحفظ فرجها إلا من زوجها

ومر بنا قول النبي ﷺ في حديث سعد المتقدم « فَمِنْ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا
تُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ فَتَأْمُمُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكِ »

• أنها تشكره على كل حال

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة إسماعيل وأمه هاجر وهو طويل وفيه: « فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَانَتْهُ أَنْسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولَ غَيْرَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ » قَالَ: فَهَمَّا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِّيهِ يُشِثُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَنْتِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ،

قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ «

فانظر إلى تلك المرأة الصالحة التي هي شاكرا لزوجها في كل حال وحتى في حال الشدة فإنها لا تشتكيه إلى أحد من خلق الله.

وانظر إلى تلك الأخرى التي حُرِّمت التوفيق من الله وهي تحت نبي من أنبياء الله وكانت متدمرة مما هم فيه من ضيق الحال وإن كان واقعا، ولهذا أمر إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام بفراقها فإنها ستزيد من همه وتعبه ومن ضيق حاله ولن تكون معينة له على طاعة الله بخلاف الأولى وسيأتي مثالها في الفائدة التالية

• أنها تعينه حال المصائب والملازمات

أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: مَاتَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِإِنِّهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عِشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتَ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكَتْنِي حَتَّى تَطْلُخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِإِنِّي فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِهَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَايِرِ

لَيْلَتِكُمَا» قَالَ: فَحَمَلْتُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمُخَاضُ فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، قَالَ وَضَرَبَهَا الْمُخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنْسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسَمٌ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ الْمَيْسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ الثَّمَرِ» قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ

الله أكبر ما أبرك هذه المرأة التي من شدة صلاحها أنها صبرت على مصيبتها بما لا تصبره كثير من نساء زماننا، وصبرت زوجها في موطن هو محتاج فيه إلى الصبر والثبات.

ومن بركة هذه المرأة الصالحة وعاقبة صبرها هي وزوجها في مصيبتها ما جاء عند البيهقي في دلائل النبوة من طريق سعيد بن مسروق عن عباية بن رفاعة قال كانت أم أنس تحب أبا طلحة فذكر القصة شبيهة بسياق ثابت عن أنس وقال في آخره فولدت له غلامًا قال عباية: فلقد رأيت لذلك الغلام سبع بنين كلهم قد ختم القرآن.

قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣١٤ / ١٥):

« فيه عدم إظهار الحزن عند المصيبة وهو فقه الباب كما فعلت أم سليم فإنها اختارت الصبر وقهرت نفسها وفيه منقبة عظيمة لأم سليم بصبرها ورضائها بقضاء الله تعالى وفيه جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة لمن قدر عليها وأن ذلك مما ينال به العبد رفيع الدرجات وجزيل الأجر وفيه أن المرأة تتزين لزوجها تعرضا للجماع وفيه أن من ترك شيئاً لله تعالى وآثر ما ندب إليه وحض عليه من جميل الصبر أنه يعوض خيراً مما فاته ألا ترى قوله فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن ». اهـ

فلا عجب والله من أن تكون هذه المرأة من نساء اللجنة المبشرات بذلك كما في حديث جابر عند البخاري أن النبي ﷺ « رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ »

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير (١٢٢ / ١٠):

« امرأة أبي طلحة سيدة الصابرات التي مات ولدها وزوجها غائب فسبحته في ناحية البيت فجاء أبو طلحة فقدمت له إفطاره فقال: كيف الصبي قالت: هو أسكن

مما كان فيه ثم تصنعت له فأصابها فلما فرغ قالت: ألا تعجب لجيرانك أعيروا عارية فطلبت منهم فجزعوا فقال بس ما صنعوا فقالت: ابنك كان عارية فقبض فحمد واسترجع فخلق بمثل هذا أن تكون في عليين . اهـ

وهذه خديجة رضي الله عنها التي وقفت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أصعب المواقف كما في

الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: « كَانِ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي أُولَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: « مَا أَنَا بِقَارِيٍّ » قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِيٍّ » قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: « مَا أَنَا بِقَارِيٍّ »، فَأَخَذَنِي، فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: « زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي » فزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لَخَدِيجَةَ: « أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي » وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » قَالَتْ

لَهُ خَدِيجَةٌ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِهَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»

ولهذا كانت تغار منها عائشة (رضي الله عنها) مع أنها تزوجها بعد موت خديجة فتقول (رضي الله عنها) كما ثبت عند البخاري «مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْصَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»

• ومنها أنها تعينك بها إن كان لها مال

فهذه خديجة رضي الله عنها كانت تعين النبي صلى الله عليه وسلم بها وما ذاك إلا لصلاحها ومر بنا قول النبي صلى الله عليه وسلم « **إِنَّمَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ** » وجاء عند أحمد « **وَوَاسْتَنِي بِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ إِذْ لَمْ يَرْزُقْنِي مِنْ غَيْرِهَا** » [لكن سنده ضعيف، ويغني عنه ما قبله].

وهذه زوجة ابن مسعود رضي الله عنها كانت تنفق على زوجها ولا تتبع تلك النفقة منا ولا أذى كما في الصحيحين من حديث زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « **تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ** » وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَأَيْتَامٍ فِي حَجَرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجَرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِالْأَلِّ، فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَى زَوْجِي، وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجَرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرُ بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: « **مَنْ هُمَا؟** » قَالَ: زَيْنَبُ، قَالَ: « **أَيُّ الزَّيَانِبِ؟** » قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: « **نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ** »

فياهن من زوجات كرام، وما يُردن أن يعرف النبي ﷺ بهن فكيف بمن عداه.

• أنها لا تكثر من الغضب والزعل والتشكي لكل صغيرة وكبيرة

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي » قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: « أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ » قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ »

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٢٦ / ٩):

« يؤخذ منه استقرار الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتهما فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم ينقل وقول عائشة أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك قال الطيبي هذا الحصر لطيف جدا لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة فهو كما قيل إني لأمنحك الصدود وإنني قسمًا إليك مع الصدود لأميل وقال بن المنير مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة اه وفي اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة و

السلام دون غيره من الأنبياء دلالة على مزيد فطنتها لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** أولى الناس به كما نص عليه القرآن فلما لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة . اهـ

وأما المرأة السوء فتهجر وتغضب وتزعل لكل صغيرة وكبيرة ولو منعها شيئاً من أمور الدنيا كبر أو صغر أقامت الدنيا على رأسه ولم تقعد لها والله المستعان

وفوائد الزواج بالمرأة الصالحة لا يحصيها إلا الله **ويكفي أنها تكون زوجتك في الجنة.**

فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث قيس بن زيد **رضي الله عنه** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** طَلَّقَ حَفْصَةَ تَطْلِيقَةً فَأَتَاهَا خَالَاهَا قَدَامَهُ وَعُثْمَانُ ابْنًا مَظْعُونًا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شَيْءٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَدَخَلَ، فَتَجَلَّيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: رَاجِعِ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ »

[حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٧)]

وكذلك كل امرأة صالحة تزوجتها وماتت على صلاحها ولم تتزوج بعدك فهي زوجتك في الجنة، فإن المرأة تكون لآخر أزواجها.

والزوجة الصالحة هي التي والله تعينك على النصيحة التي تليها وهي .



النصيحة الثانية عشر

غض البصر عن محارم الله

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ

اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) سورة التوبة: ٩٦

فمن جاهد نفسه عن محارم الله فهو المجاهد ومن هجر ما حرم الله فهو المهاجر

فقد ثبت عند أحمد من حديث فضالة بن عبيد (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ

اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» [الصحيحه (٥٤٩)]

قال الحافظ رحمته الله في الفتح (٣٣٧ / ١١):

« والمراد بالمجاهدة كف النفس عن ارادتها من الشغل بغير العبادة وبهذا تظهر

مناسبة الترجمة لحديث الباب وقال بن بطال جهاد المرء نفسه هو الجهاد الاكمل

قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية ويقع بمنع

النفس عن المعاصي وبمنعها من الشبهات وبمنعها من الإكثار من الشهوات

المباحة لتتوفر لها في الآخرة قلت: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات

فلا يأمن ان يقع في الحرام ونقل القشيري عن شيخه أبي على الدقاق من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمة وعن أبي عمرو بن بجيد من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه قال القشيري أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها وللنفس صفتان انها في الشهوات وامتناع عن الطاعات فالمجاهدة تقع بحسب ذلك قال بعض الأئمة جهاد النفس داخل في جهاد العدو فان الأعداء ثلاثة رأسهم الشيطان ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه فمجاهدته نفسه حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه وإذا قوى العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين فالأول الجهاد الباطن والثاني الجهاد الظاهر وجهاد النفس أربع مراتب حملها على تعلم أمور الدين ثم حملها على العمل بذلك ثم حملها على تعليم من لا يعلم ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمه وأقوى المعين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك ثم تحسين ما نهى عنه من المحرمات ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات وتتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظا لنفسه في جميع أحواله فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات وبالله التوفيق . اهـ

قال الحافظ ابن رجب **رحمته الله** في فتح الباري (١ / ٣٥):

« فأصل الهجرة: هجران الشر ومباعدته لطلب الخير ومحبتة والرغبة فيه .

والهجرة عند الإطلاق في كتاب السنة إنما تنصرف إلى هجران بلد الشرك إلى دار الإسلام رغبة في تعلم الإسلام والعمل به، وإذا كان كذلك فأصل الهجرة: أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام، وإلا فمجرد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة، بل الهجرة التامة الكاملة: هجران ما نهى الله عنه، ومن جملة ذلك: هجران بلد الشرك مع القدرة عليه .» اهـ

ومن جاهد نفسه عن محارم الله أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ »

وكل هؤلاء مجاهدون إلا أن مرادنا منهم « وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ »

فانظر إلى هذا ما أشد صبره عن محارم الله وكيف كبت شهوته خوفا من الله.

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في فتح الباري (٤ / ٦١):

«الخامس: رَجُلٌ دَعَتْهُ أَمْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ.

ويعني بالمنصب: النسب والشرف والرفعة في الدنيا، فإذا اجتمع ذَلِكَ مَعَ الجمال فَقَدْ كَمَلَ الأمر وقويت الرغبة، فَإِنْ كَانَتْ مَعَ ذَلِكَ هِيَ الطالبة الداعية إلى نفسها، كَانَ أعظم وأعظم، فَإِنَّ الامتناع بعد ذَلِكَ كله دليل عَلَى تقديم خوف الله عَلَى هوى النفس، وصاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٤٠ ﴿﴾ وهذا كما جرى ليوסף عَلَيْهِ السلام. اهـ

ومن جاهد نفسه عن محارم الله حفظ الله جميع جوارحه

أخرج الإمام أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ اخْفَظْ اللَّهُ يَحْفَظْكَ اخْفَظْ اللَّهُ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [صححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢)]

قال ابن رجب رحمته الله في جامع العلوم والحكم (٤ / ٤):

« احفظ الله » يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره،

ونواهيه، وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه.

وقال عز وجل: ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ۖ ۞ ﴾ .

وُفَسِّرَ الحفيظ هاهنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها . اهـ

وقال ﷻ في نفس المصدر:

« يحفظك » يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، حفظه الله، فإنَّ الجزء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ وقال:

﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، وقال: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال

الله عز وجل: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ

اللَّهُ ﷻ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلُّوا عنه.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ مع كلِّ رجلٍ ملكين يحفظانه مما لم يقدِّرْ فإذا جاء القدر خلَّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنَّةٌ حصينة.

وقال مجاهد: ما من عبدٍ إلَّا له ملكٌ يحفظه في نومه ويقظته من الجنِّ والإنس والهوامِّ، فما من شيءٍ يأتيه إلَّا قال: وراءك، إلَّا شيئاً أذن الله فيه فيصيبه.

وخرَّج الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي من حديث ابن عمر، قال: لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعُ هؤلاء الدَّعوات حين يُمسي وحين يُصبح: « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذُ بعظمتك أنْ أُغتَالَ من تحتي » ^(١)

ومن حفظ الله في صباه وقوّته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوّته وعقله.

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممّتَعُ بقوّته وعقله، فوثب يوماً وثبةً شديدةً، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصَّغر،

(١) (صحيح) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٧١)

فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس، فقال: إنَّ هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره.

وقد يحفظُ الله العبدَ بصلاحه بعدَ موته في ذريَّته كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ أنَّهما حُفِظَا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزیدن في صلاتي من أجلِك، رجاء أن أُحَفَظَ فيك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، وقال **عمر بن عبد العزيز**: ما من مؤمن يموتُ إلَّا حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبه.

وقال ابن المنكدر: إنَّ الله ليحفظُ بالرجل الصالح ولده وولدَ ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر.

ومتى كان العبد مشغلاً بطاعة الله، فإنَّ الله يحفظه في تلك الحال، وفي "مسند الإمام أحمد" عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال: «كَانَتْ امْرَأَةٌ فِي بَيْتٍ فَخَرَجَتْ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَتْ ثِيَّتِي عِزًّا لَهَا، وَصِيصِيَّتَهَا كَانَتْ تَنْسُجُ بِهَا»، قَالَ: "فَقَدْتُ عِزًّا مِنْ غَنَمِهَا، وَصِيصِيَّتَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ إِنَّكَ قَدْ ضَمَنْتَ لِي خُرْجَ فِي سَبِيلِكَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ، وَإِنِّي قَدْ فَقَدْتُ عِزًّا مِنْ غَنَمِي، وَصِيصِيَّتِي، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ عِزِّي، وَصِيصِيَّتِي"، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ

شِدَّةٌ مُنَاشِدَتَهَا لِرَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَصْبَحَتْ عَزُّهَا وَمِثْلُهَا، وَصِصِيَّتُهَا وَمِثْلُهَا" ^(١).

والصيصية: هي الصنارة التي يُغزل بها ويُنسج.

فمن حفظ الله حَفِظَهُ اللهُ من كُلِّ أذى. **قال بعض السلف:** من اتقى الله، فقد حَفِظَ نفسه، ومن ضيَّع تقواه، فقد ضيَّع نفسه، والله الغني عنه.

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظةً له من الأذى، كما جرى لِسَفِينَةِ مولى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حيث كُسِرَ به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد، فجعل يمشي معه حتَّى دَلَّه على الطريق، فلَمَّا أوقفه عليها، جعل يَهْمُهُمْ كَأَنَّهُ يُودِّعُهُ، ثم رجع عنه » ^(٢).

ورؤي إبراهيم بن أدهم نائماً في بستان وعنده حَيَّةٌ في فمها طاقة نَرَجِس، فما زالت تذبُّ عنه حتَّى استيقظ.

(١) (إسناده صحيح) أخرجه أحمد ولم يخرج له أحد غيره فقال حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ خُمَيْدٍ يَغْنِي ابْنَ هِلَالٍ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الطَّافَاةِ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ وَرَجَّاهُ ثَقَاتُ رِجَالِ الصَّحِيحِينَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَوَى عَنْهُ خُمَيْدٌ صَحَابِيًّا فَلَا تَضُرُّ جِهَالَتَهُ فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عَدُولٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ. وَقَدْ صَحَّحَ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرُ إِسْنَادَهُ فِي تَحْقِيقِهِ لِلْمَسْنَدِ بِرَقْمٍ (٢٠٥٤٢).

(٢) (سنده حسن) رواه معمر في جامعه بإسناد حسن إليه، وكذا البيهقي في شرح السنة (٣٧٣٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة كلهم من طريق معمر به. وصححه العلامة الألباني في المشكاة (٥٩٤٩)

وعكسُ هذا أنَّ من ضيع الله، ضيَّعهُ الله، فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرُّ والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم، كما قال بعض السلف: إني لأعصي

الله، فأعرفُ ذلك في خُلُقِ خادمي ودابَّتي.

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفَّاه على الإيمان ». اهـ

ومن جاهد نفسه مرزقه الله حلاوة يجدها في قلبه

أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ »

فكل من كره معصية ونهى النفس عنها وجاهد نفسه عن الخوض فيها أذاقه الله حلاوة الإيمان.

ومن جاهد نفسه أمن يوم القيامة من كل فزع

جاء عند البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يروي ذلك،
عن ربه عز وجل أنه يقول: « وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي
الدُّنْيَا أَمَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [الصحيحة (٧٤٢)]

○ فصل:

وأما من لم يجاهد نفسه فيخشى عليه من ذلك الحديث العظيم وهو ما رواه ابن
ماجه عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ
أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً
مَشْثُورًا، قَالَ ثُوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا
نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ،
وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ». [الصحيحة (٥٠٥)]

وقد يكون في هذا الحديث إشكال وهو أنه ما من عبد مؤمن إلا وهو يستتر عند معصية
الله ولا يجاهر بها فإن الجاهر بالمعاصي مذموم فهل هذا الحديث ينهي عن الاستتار وأمر بضده؟

الجواب: لا فالعبد مأمور بستر نفسه وعدم فضحها وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم خطر
المجاهرة بالذنوب فقال « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ
الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ
كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » أخرجه البخاري عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

فيقول قائل: إذا فما معنى الحديث؟

أقول وبالله أصول وأجول وبه أستعين:

الذي يظهر لي أن المقصود به أحد ثلاثة أمور:

الأول: أن هذا العبد كان هذا ديدنه فمعناه أنه كلما خلا بنفسه عصي الله وإذا ظهر أمام الناس أظهر الصلاح فكان في السر خلاف العلن تمامًا.

الثاني: أنه ينتهك حرمة الله ويعصي الله ثم لا يتوب منها ولا يستغفر الله ولذلك أكلت سيئاته حسناته فهو ظالم لنفسه.

الثالث: أنه غلب رجاؤه خوفه فرأى أن هذه السيئات والخلو بمحارم الله لا تُعد شيئاً بجوار أعماله الصالحة فأمن مكر الله، فلم يخف الله بالغيب وهذا من الموبقات.

ولهذا قال العلامة العثيمين رحمه الله:

« أما الإنسان الذي يترك المعصية أمام الناس ولكن يفعلها إذا خلا، ولم يمنعه من هذا إلا الحياء، وهو مع هذا في الخفاء خائف من الله عز وجل، ويخشى أن الله سبحانه وتعالى يعاقبه ولو بقسوة القلب؛ فهذا لا يذم. المشكل: الذي يرائي الناس بفعل الطاعات، وكذلك لا يخاف الله بالغيب، وأما رجل يخاف الله لكنه في العلانية يخجل من الناس وفي السر تغلبه نفسه ومع ذلك فهو خائف من ربه؛ فهذا لا لوم

عليه، لكن يجب عليه أن يحاول ترك المعصية بقدر استطاعته». [انتهى من لقاءات الباب المفتوح]

○ فصل:

في بعض الأمور التي يجب غض البصر عنها

ففي زمن كثرت فيه الوسائل الموصلة إلى الحرام كان لابد من ذكر بعض الأمور التي ينبغي على الشاب المؤمن أن يجاهد نفسه فيها وعنها:

● التلفاز والدش

وهذه أصبحت من وسائل الفساد التي علمت الشباب والشابات كل رذيلة

فكم من شاب أطلق بصره للنظر إلى النساء فيها فوقع في الحرام

وكم من شاب تعلق قلبه بالحرام بسببه

وكم من شاب ساءت أخلاقه بسببه

وكم من شابة تعلمت العشق والهيام منه

وكم من شابة تعلمت كيف تهرب مع عشيقها بسببه

وكم من شابة ماعت وضاعت بسببه

وكم تُحَدِّثُ مِنْ مَخَازِيهِ حَتَّى عَلَى مَسْتَوَى النُّشْرَاتِ وَالْأَخْبَارِ لَا يَأْتُونَ إِلَّا بِنِسَاءِ جَمِيلَاتٍ لِيُخَطِّفُوا قُلُوبَ الشَّابِّ وَتَرْنُو نَفْسَهُ لِلنَّظَرِ لِلْمَحْرَمَاتِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

• الإنترنت ومواقع التواصل

كالفيس بوك والتويتر وغيرها التي أصبحت مرتعا خصبا للصور الخليعة والعارية التي قل من ينجو منها بشيء أو بآخر فبعض الناس قد يفر منها ويحاول أن يستخدمه استخداما حسنا لكنه ما يدري إلا وقد أرسل له هذا صورة وهذا صورة فإن كان ضعيف نفس وقع في الحرام فيألف عليها ويعشق متابعتها ولا يدري إلا وقد أدمن عليها والله المستعان.

والسلامة لا يعدلها شيء فينبغي على العبد أن يجتنب مثل هذه المواقع حرصا على سلامة قلبه وحتى لا يقع في الحرام وقد ثبت في الصحيحين عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « الْحَلَالُ بَيْنُ، وَالْحَرَامُ بَيْنُ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحْرَمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »

• الأسواق ومواطن الاختلاط

فإنها مواطن ينصب فيها الشيطان رايته فقد أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق » [صحيح الجامع (٣٢٧١)]

وفي صحيح مسلم عن سلمان رضي الله عنه قال: « لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يُخْرَجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَايَتُهُ »

وما ذاك إلا لما يحصل فيه من أمور منكرة ومنه الاختلاط.

وأما المدارس والجامعات والمعاهد فحدث عنها ولا حرج ففيها مما يفسد القلب ما لا يستطيع العبد وصفه والله المستعان.

ثم اعلم وفقك الله أنك لن تقوى على هذه المجاهدة والبعد عما نهيت عنه إلا إذا عملت بالنصيحة التالية.



النصيحة الثالثة عشر

الاستعانة بالله في كل الأمور

فإنه لا يقدر العبد على شيء من أمور حياته لا الدنيوية ولا الآخروية إلا بعون من الله وبتوفيق منه سبحانه

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى... فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ولهذا فإن العبد مأمورٌ بأن يستعين بالله في كل أموره:

• في العبادة يستعين بالله:

قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١ / ٧٥):

«والاستعانة تجمع أصليين الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به.

والتوكل معنى يلتزم من أصليين من الثقة والاعتماد وهو حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا أحدها

الثاني: قول شعيب ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٨٨)

الثالث: قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣)

الرابع: قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَلِيكَ الْمَصِيرُ﴾

الخامس: قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٩)

السادس: قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (٣)

فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصلين وهما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها

ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بالوحيته واسمه الله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

متعلق بربوبيته واسمه الرب فقدم إياك نعبد على إياك نستعين كما قدم اسم الله على الرب في أول السورة ولأن إياك نعبد قسم الرب فكان من الشطر الأول الذي هو

ثناء على الله تعالى لكونه أولى به وإياك نستعين قسم العبد فكان من الشطر الذي له وهو اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة

ولأن العبادة المطلقة تتضمن الإستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ولا ينعكس لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا كانت قسم الرب

ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس ولأن الإستعانة طلب منه والعبادة طلب له

ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص

ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك والاستعانة طلب العون على العبادة وهو بيان صدقته التي تصدق بها عليك وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته

ولأن العبادة شكر نعمته عليك والله يحب أن يشكر والإعانة فعله بك وتوفيقه لك فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رقها أعانك عليها فكان التزامها والدخول تحت رقها سببا لنيل الإعانة وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم

والعبودية محفوفة بإعانتين إعانة قبلها على التزامها والقيام بها وإعانة بعدها على عبودية أخرى وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نجه

ولأن إياك نعبد له وإياك نستعين به وماله مقدم على ما به

لأن ماله متعلق بمحبته ورضاه وما به متعلق بمشيئته وما تعلق بمحبته أكمل مما

تعلق بمجرد مشيئته فإن الكون كله متعلق بمشيئته والملائكة والشياطين

والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم

فالكفار أهل مشيئته والمؤمنون أهل محبته ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبدا وكل

ما فيها فإنه به تعالى وبمشيئته

فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم إياك نعبد على إياك نستعين « . اهـ

ولهذا علم النبي ﷺ معاذًا طلب العون من الله كما ثبت عند أحمد (١٣٦٢) من

حديث معاذ رضي عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ قَالَ « أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »

وكان النبي ﷺ يطلب العون من ربه كما ثبت عند أبي داود (١٣٥٣) من حديث

ابن عباس رضي عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: « رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعْنِ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ، مُحِبًّا، أَوْ مُبِينًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَبُتِّ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي »

• الاستعانة بالله على أعداء الله

قال الله عز وجل عن موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ
مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ
وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾



وأخرج البخاري عن مسروق، قال: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:
يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ
أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ٨٦ وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنِ الدُّخَانِ: إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَا قُرَيْشًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَؤُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي
عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ فَحَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ
وَالْجُلُودَ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ دُخَانًا مِنَ الْجُوعِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ قَالَ: فَدَعَا: ﴿رَبَّنَا
أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أُنِيَ لَهُمُ الذِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ
﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشَفُوكُمُ الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

أَفَيَكْشَفُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: فَكُشِفَ ثُمَّ عَادُوا فِي كُفْرِهِمْ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ
بَذْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾

• الاستعانة بالله عند الشدائد والمصائب

• وكذا الاستعانة بالله في الأمور المباحة وكذا المرغب فيها

روى الترمذي في جامعه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: « ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ
الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ » [صحيح الترغيب (١٣٠٨)]

وكل هؤلاء ينبغي عليهم أن يستعينوا بالله ليعينهم على أمورهم الدنيوية المباحة
وأموارهم الأخروية التي أموروا بها حتى يعينهم الله ويمدهم بعون من عنده
سبحانه.

وهذا كله لا يوفق له الشاب ما لم يكن قد عمل بالنصيحة التي تليها وهي .



النصيحة الرابعة عشرالإكثار من ذكر الله

فقد أمر الله عز وجل عباده بالإكثار من ذكره وحث ورغب في ذلك أيما ترغيب

فقال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ الأ: زاب: ١٤ - ٢٤

وقال سبحانه مخاطباً نبيه زكريا عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً ۖ قَالَ

ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ إِلَّا رَمْزًا ۖ وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۝٤١﴾ آل عمران: ١٤

وبيّن سبحانه وتعالى أنه لا يكون العبد متأسياً برسول الله ﷺ إلا من ذكر الله

كثيراً فقال سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ ءَآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝١١﴾ الأ: زاب: ١٢

وأبان سبحانه أنه ادخر الجزاء الوافر العظيم لمن كان ذاكراً له سبحانه فقال

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ

وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصِدِّقِينَ وَالْمُتَصِدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ

وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ الأ: ٥٣

□ ومن عظم الذكر أن الله سبحانه وتعالى أمر به في أعظم المواطن ومنها:

• إذا أتم الحاج مناسك الحج

قال الله سبحانه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ١١ بقرة: ٠٠٢

قال القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٤٣١):

« قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ كانت عادة العرب
إذا قضت حجها تقف عند الجمرة، فتفاخر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة
وكرم، وغير ذلك، حتى أن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة،
عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية
ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية هذا قول جمهور
المفسرين. وقال ابن عباس وعطاء والضحاك والربيع: معنى الآية واذكروا الله
كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم: "أبه أمه"، أي فاستغيثوا به والجؤوا إليه كما كنتم
تفعلون في حال صغركم بآبائكم. وقالت طائفة: معنى الآية اذكروا الله وعظموه
وذبوا عن حرمه، وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره، كما تذكرون آباءكم

بالخير إذا غض أحد منهم، وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم. وقال أبو الجوزاء لابن عباس: إن الرجل اليوم لا يذكر أباه، فما معنى الآية؟ قال: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله تعالى إذا عصي أشد من غضبك لو الديك إذا شتما . اهـ

• إذا أتم المصلي أعظم صلاة في الأسبوع وهي الجمعة

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا

اللَّهِ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ الجمعة: ١.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٨ / ١٢٣):

« وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: حال بيعكم

وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكرا كثيرا، ولا تشغلکم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: « من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كُتِبَ له ألف ألف حسنة، ومُحِيَ عنه ألف ألف سيئة »^(١)

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا

ومضطجعا . اهـ

• عند لقاء الأعداء

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في الدعاء من حديث عمر وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٣٩) ورَدَّ على من يضعفه بقوة فراجع له فإن فيه كلاما حسنا.

قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) الأ: قال: ٥٤
قال ابن كثير **رحمه الله** في تفسير ابن كثير (٤ / ٧١):

« عن كعب الأحماس قال: ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر،
ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند
القتال، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) »

قال الشاعر: ذكرتكَ والخطى يخطرُ بيننا..... وقد نهكتُ فينا المتَّفِّفَةُ السُّمُرُ
وقال عنتره: ولقد ذكرتُكَ والرِّمَّاحُ شَوَاجِرُ..... فينا وبِضِّ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السَّيْفِ لَأَنِّهَا..... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

فأمر تعالى بالشبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ياكلوا
ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه،
ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم
الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا
فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم. اهـ

وقال سبحانه لموسى حين أرسله إلى فرعون وقومه ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾

قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٥ / ٢٩٤):

« والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له ». اهـ
فمن أراد أن يهزم عدوه ويكسره فعليه بكثرة ذكر الله عز وجل.

• عند تجدد النعم وإرادة شكرها

قال الله سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْرَ ۖ ﴿٥١﴾﴾ آل عمران: ١٤

قال السعدي رحمته الله في تفسيره (ص: ١٢٩):

« ﴿اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على وجود الولد ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجد بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام

ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ١١: أي: أول النهار وآخره. اهـ

وانظر حفظك الله حين طلب موسى عليه السلام من ربه أن يحلل عقدة لسانه ليكون ذكره لربه كثيرا فقال الله سبحانه وتعالى عنه ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ٢٥: وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦: وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ٢٧: يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨: وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ٢٩: هَٰرُونَ أَخِي ٣٠: أَشَدُّ دَبِيحًا ٣١: وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣: وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤: إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥: طه: ٥٢ - ٥٣

قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٦٣):

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ٣٣: وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤: هذا التسييح والذكر هما الغاية من الدعاء المتقدم. والمراد التسييح هنا باللسان. وقيل: المراد به: الصلاة، وانتصاب ﴿كَثِيرًا﴾ في الموضعين على أنه نعت مصدر محذوف، أو لزمان محذوف ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ البصير المبصر والبصير العالم بخفيات الأمور، وهو المراد هنا، أي: إنك كنت بنا عالما في صغرنا فأحسنست إلينا، فأحسن إلينا أيضاً كذلك الآن. اهـ

ولهذا ينبغي على معاصر الشباب الاعتناء بالذكر كثيرا فإنه سلاحهم في مواجهة أعداء الله ومنهم عدوه اللدود الشيطان فإن من أعظم ما يهلك الشيطان الذكر الكثير.

وانظر لما جاء في تفسير قول الله تعالى ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَوَاسٍ الْخَنَاسِ﴾ ﴿١٩٠﴾

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (٨ / ٥٤٠):**

« قال سعيد بن جبیر، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلْوَسَوَاسٍ الْخَنَاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. وكذا قال مجاهد، وقتادة ». اهـ

وقد وصف الله عباده الصالحين بكثرة الذكر فقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

قال الشوكاني **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النَّيْلِ:**

« أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها أجلا معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه

ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ بالليل والنهار، في البرّ والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السرّ والعلانية وعلى كل حال. اهـ

○ فصل:

متى يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً؟

الجواب: إذا ذكر الله دبر الصلوات بالأذكار الواردة عن النبي ﷺ وحافظ على أذكار الصباح والمساء والنوم وذكر الله عند مأكله ومشربه ومدخله ومخرجه فهذا بإذن الله من الذاكرين الله كثيراً.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْأَذْكَارِ (ص: ٥٠):

« قال ابن عباس: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدواً وعشيّاً، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى. وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. وقال عطاء: من صَلَّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرَّمَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ هذا نقل الواحدي.

وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى. أَوْ صَلَّى. رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ
الله كثيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في
سننهم^(١).

وسئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصَّلاح رحمه الله عن القدر الذي يصيرُ به من
الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال: "إذا واطبَ على الأذكار الماثورة المثبتة
صباحًا ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهارًا، وهي مُبَيَّنَة في كتاب عمل
اليوم والليلة، كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات" والله أعلم. اهـ

فصل

في أن من ترك الذكر عميت بصيرته ولم يتميز له الحق من الباطل:

قال ابن القيم رحمته الله في الوابل الصيب (ص: ٥٦):

« ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلاؤه بالذكر
فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فإذا ترك صدئ فإذا جلاه وصدأ القلب بأمرين
بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبا على قلبه وصدأه بحسب
غفلته وإذا صدئ القلب لم تنطع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل
في صورة الحق والحق في صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه

(١) (صحيح) صححه الألباني في الترغيب (٦٢٦)

صورة الحقائق كما هي عليه فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصويره وإدراكه فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنها يطمسان نور القلب ويعميان بصره قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً، ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر بالاسراف أي قد أفرط، وفسر بالإهلاك وفسر بالخلاف للحق وكلها أقوال متقاربة والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر « فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت » . اهـ

ثم اعلم أن هذه الأذكار لا بد أن تأخذ بيدك إلى فضيلة عظيمة وهي النصيحة التي تليها وهي .



النصيحة الخامسة عشر

التخلق بالأخلاق الفاضلة

وذلك تأسيًا بالنبي ﷺ الذي كان على أخلاق عظيمة فقد قال الله سبحانه

وتعالى عنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

وسئلت عائشة (رضي الله عنها) عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ لِلْسَائِلِ:

« أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ » قال: بلى، قالت: « فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ الْقُرْآنَ » [أخرجه مسلم]

قال صاحب مرعاة المفاتيح (٦ / ٣١٩):

« فَإِنْ خُلِقَ نَبِي اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ » أي كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه

ومحاسنه، ويوضحه أن جميع ما فصل في كتاب الله من مكارم الأخلاق ومحاسن

الآداب مما قصه عن نبي أو ولي أو حث عليه أو ندب إليه أو ذكر بالوصف الأتم

والنعت الأكمل كان متحليا به ومتوليا له ومتخلقا به وبالغافيه من المراتب أقصاها،

حتى جمع له من ذلك ما تفرق في سائر الخلائق، وكل ما نهى الله تعالى عنه فيه ونزه

كان، لا يحوم حوله، ويبين ذلك قوله: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. قال النووي:

معناه العمل بالقرآن والوقوف عند حدود والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه

وتدبره وحسن تلاوته- انتهى . اهـ

وإذا التزم المسلمون بالأخلاق سمت مجتمعاتهم وارتفعت وعلا قدرها

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولهذا حث الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

*** وسِرُّ معي في هذه الصفحات بقلبٍ حاضرٍ لتعلم ماذا أعد الله سبحانه لمن كان خلقه حسناً:**

• حسن الخلق أكثر ما يدخل الناس الجنة

روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»

وروى ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سِئِلَ النَّبِيُّ ﷺ، مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [الصحيحة (٩٧٧)]

• أن صاحب الخلق الحسن ينال الدرجات العلى في الجنة

روى أبو داود والترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»

[الصحيحة (٢٧٣)]

• مرافقة النبي ﷺ في الجنة

أخرج أحمد في المسند والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَجْلِسٍ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»

[صحيح الترغيب (٢٦٥٠)]

• أن الأخلاق من أسس بعثة النبي ﷺ

روى البيهقي في الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» [الصحيحة (مرقم ٤٥)]

• أنه من خير الناس

أخرج البخاري عن مسروق، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»

قال الإمام النووي رحمته الله في شرحه على مسلم (٧٨ / ١٥):

«فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه قال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة

الوجه قال القاضي عياض هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم والاشفاق عليهم واحتماهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة قال وحكى الطبري خلافا للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب قال القاضي والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والافتداء بغيره والله أعلم. اهـ

• أنه من أحب الناس إلى الله

عَنْ أَسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الرَّخَمَ، مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي كَذَا، أَفْتِنَا فِي كَذَا، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمُ الْحَرَجَ، إِلَّا أَمْرًا اقْتَرَضَ مِنْ عَرَضِ أَخِيهِ فَذَاكَ الَّذِي حَرَجَ وَهَلَكَ» قَالُوا: أَفْتَدَاوِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ» قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْهَرَمُ» قَالُوا: فَأَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» [أخرجه ابن حبان وصححه الألباني في

صحيح ابن ماجه (٣٤٣٦)]

ووالله لو لم تكن إلا هذه لكفى بها شرفاً ورفعةً وفضلاً أن يحبك الله.

• أنه من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ اللَّهُ الْمُشَاوِرُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُتَمَسِّسُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنَتِ» [الترغيب

(٢٦٥٨)]

• أن حسن الخلق أصل البر

أخرج البخاري عن النّوّاس بن سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»

• أن به تعمّر الديار

جاء عند أحمد عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصَلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» [الصحيحة (٥١٩)]

قال ابن الأمير الصنعاني رحمته الله في سبل السلام (٢ / ٦٢٧) عند حديث «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»:

« قَالَ ابْنُ التَّيْنِ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَيُّ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ مُعَارِضٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١) قَالَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ كِنَايَةٌ عَنِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ بِسَبَبِ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَعِمَارَةِ وَقْتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصِيَّاتِهِ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مَا جَاءَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ (١). وَحَاصِلُهُ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصِّيَّانَةِ عَنِ الْمُعْصِيَةِ فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ الْعِلْمُ الَّذِي يُتَّقَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِتَأْلِيفٍ وَنَحْوِهِ وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْفُ الصَّالِحُ.

وَتَانِيَهُمَا أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالْعُمُرِ، وَالَّذِي فِي الْآيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ كَأَن يُقَالَ لِلْمَلِكِ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَصِلُ أَوْ يَقْطَعُ فَالَّذِي فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ وَالَّذِي يُقَالُ مَثَلًا إِنَّ عُمَرَ فَلَانٍ مِائَةٌ إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ، وَإِنْ قَطَعَهَا فَسِتُونَ وَقَدْ سَبَقَ مَثَلًا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ فِيهِ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ

الْكِتَابِ ﴾ (٢) وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ وَمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ وَأَمَّا الَّذِي فِي عِلْمٍ وَيُقَالُ لَهُ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ وَيُقَالُ لِلأَوَّلِ الْقَضَاءُ الْمُعَلَّقُ. وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ

(١) (ضعيف) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن مالك أنه بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرسل ضعيف وقد ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الترغيب (٦٠٤)

أَلَيْتُ فَإِنَّ الْأَثَرَ مَا يَتَّبِعُ الشَّيْءَ فَإِذَا أُخِّرَ حَسَنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الذِّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ فَقْدِ
الْمَذْكُورِ وَرَجَّحَهُ الطَّبِيُّ. وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْفَائِقِ « . اهـ

• أن حسن الخلق من أثقل الأشياء في الميزان

روى أبو داود في سننه وأحمد في المسند عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ

« مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ » [صححه الألباني في سنن الترمذي (٢٠٨٧)]

○ اعتراض وارد:

قد يقول قائل كيف يكون حسن الخلق أثقل شيء في الميزان والمعلوم
أن التوحيد لا يعادله شيء في الميزان فهو أفضل الأعمال على الإطلاق؟

الجواب: قال العلامة العباد حفظه الله في شرح سنن أبي داود (٥٤٦):

« وهنا ترد مسألة وهي: أليس التوحيد هو أثقل في الميزان من حسن الخلق؟
فنقول: معلوم أن الإيمان هو الأصل والأساس وكل شيء تابع له، وقد جاء في بعض
الأحاديث: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان) وكذلك حديث:
(والحمد لله تملأ الميزان)، فالتوحيد لا شك أنه هو الأساس، وهو الذي به يتميز
المسلم عن الكافر، وبه يصير المرء من أهل الإيمان لا من أهل الكفر، ولكن فيما
يتعلق بالأمور التي يتعامل الناس بها والتي في غير التوحيد، والتي هي من الأعمال
الزائدة عن الأصل، فحسن الخلق من أثقل ما يكون في الميزان فيما يتعلق بهذه
الأعمال » . اهـ

• أن صاحب الخلق ليبلغ درجة الصائم القائم

في سنن أبي داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » [المشكاة (٥٠٨٢)]

قال صاحب عون المعبود (١٣ / ١٠٧):

« (درجة الصائم القائم) أي قائم الليل في الطاعة وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد . اهـ

• أن صاحب الخلق يكمل إيمانه

روى البيهقي في شعب الإيمان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خَيْرُهُمْ لِنِسَائِهِمْ » [الصحيحه (٢٨٤)]

ثم قال البيهقي: قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ « فَدَلَّ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ إِيْمَانٌ، وَأَنَّ عَدَمَهُ نُقْصَانُ إِيْمَانٍ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُتَفَاوِثُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ، فَبَعْضُهُمْ أَكْمَلُ إِيْمَانًا مِنْ بَعْضٍ »

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فِي النِّيل (١٠ / ٤٩٦):

« قَوْلُهُ «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ» الْخ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ مَزِيَّةٌ حَسَنُ الْخَلْقِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ فَإِنْ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقًا كَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ إِيْمَانًا وَأَنَّ خَصْلَةً يَخْتَلِفُ حَالُ الْإِيمَانِ بِاخْتِلَافِهَا لَخَلِيقَةٍ بِأَنَّ تَرْغِبَ إِلَيْهَا نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ. قَوْلُهُ «وَحَيَارُكُمْ حَيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ» وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» فِي ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى أَعْلَى النَّاسِ رَتَبَةً فِي الْخَيْرِ وَأَحْقَهُمْ بِالِاتِّصَافِ بِهِ هُوَ مَنْ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ فَإِنَّ الْأَهْلَ هُمُ الْأَحْقَاءُ بِالْبَشَرِ وَحَسَنُ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانُ وَجَلَبَ النِّفْعَ وَدَفَعَ الضَّرَّ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَذَلِكَ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الشَّرِّ وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَرُطَةِ فَتَرَى الرَّجُلَ إِذَا لَقِيَ أَهْلَهُ كَانَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَشْحَمَهُمْ نَفْسًا وَأَقْلَهُمْ خَيْرًا وَإِذَا لَقِيَ غَيْرَ الْأَهْلِ مِنَ الْأَجَانِبِ لَانَتْ عَرِيكَتُهُ وَانْبَسَطَتْ أَخْلَاقُهُ وَجَادَتْ نَفْسُهُ وَكَثُرَ خَيْرُهُ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْرَمٌ التَّوْفِيقَ زَائِعٌ عَنْ سِوَاءِ الطَّرِيقِ نَسَأَلَ اللهُ السَّلَامَةَ ». اهـ

• أَنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلٍ مَا عَمِلَ بِمَثَلِ حَسَنِ الْخَلْقِ

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ

فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ « قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَمَلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا » [الصحيحة (١٩٣٨)]

قال الملا علي القاري في مرعاة المفاتيح (٣٠٥٣ / ٧):

« هُمَا أَخْفُ عَلَى الظَّهْرِ » أَي: ظَهَرَ الْمُكَلَّفِ وَبَدَنِهِ أَوْ عَلَى ظَهْرِ اللِّسَانِ « وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ؟ « قَالَ الطَّيْبِيُّ: تَشْبِيهُهُ لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ فِي تَأْتِيهِ بِالسَّهُولَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ». « قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: طُولُ الصَّمْتِ » أَي: الْمُتَضَمُّنُ لِلتَّفَكُّرِ، « وَحُسْنُ الْخُلُقِ » أَي: الْمُشْتَمِلُ عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْحَقِّ أَوْ الْخَلْقِ. اهـ

• أن من جمع حسن الخلق لا عليه إن لم يجمع غيره من الدنيا

أخرج الإمام أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا حِفْظُ أَمَانَةٍ وَصِدْقُ حَدِيثٍ وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ وَعِفَّةٌ فِي طَهْرٍ » [الصحيحة (٧٣٣)]

قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير. (٢٧٢ / ١):

« أَرْبَعٌ » مِنَ الْخِصَالِ « إِذَا كُنَّ فِيكَ » أَيُّهَا الْإِنْسَانُ « فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا » أَي لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَقَدْ فُوتَ الدُّنْيَا إِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ « صِدْقُ الْحَدِيثِ » أَي ضَبْطُ اللِّسَانِ عَنِ الْبَهْتَانِ « وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ » بِأَنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ وَمَا اتَّيَمَّنَ عَلَيْهِ

« وحسن الخلق » بالضم بأن يكون حسن العشرة مع الخلق « وعفة مطعم » بفتح الميم والعين بأن لا يطعم حراما ولا ما فيه شبهة قوية ولا يزيد على الكفاية حتى من الحلال ولا يكثر الأكل . اهـ

فصل:¹⁹

في المقصود بحسن الخلق

قال البيهقي رحمته الله في شعب الإيمان (١٠ / ٣٥٠):

« قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: "وَمَعْنَى حُسْنِ الْخُلُقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ نَحْوَ الْأَرْفَقِ الْأَحْمَدِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ بِأَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، يَفْعَلُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِهِ، سَلِسًا نَحْوَهُ، وَيَنْتَهِي عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ، وَاسِعًا بِهِ، غَيْرَ مُتَضَجِّرٍ مِنْهُ، وَيَرْغَبُ فِي نَوَافِلِ الْخَيْرِ، وَتَرَكَ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا رَأَى أَنَّ تَرْكَهُ أَقْرَبُ إِلَى الْعُبُودَةِ مِنْ فِعْلِهِ، مُتَبَشِّرًا لِذَلِكَ غَيْرَ ضَجِرٍ مِنْهُ، وَلَا مُتَعَسِّرٍ بِهِ، وَهُوَ فِي الْمَعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ سَمَحًا بِحُقُوقِهِ لَا يُطَالِبُ غَيْرَهُ بِهَا، وَيُؤْفَى مَا يَجِبُ لِغَيْرِهِ عَلَيْهَا مِنْهُ، فَإِنْ مَرَضَ فَلَمْ يُعَدِّ، أَوْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَلَمْ يُزِرْ، أَوْ سَلَّمَ فَلَمْ يُرَدِّ عَلَيْهِ، أَوْ ضَافَ فَلَمْ يُكْرَمْ، أَوْ شَفَعَ فَلَمْ يُجِبْ، أَوْ أَحْسَنَ فَلَمْ يَشْكُرْ، أَوْ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ فَلَمْ يُمَكِّنْ، أَوْ تَكَلَّمَ فَلَمْ يُنصِتْ لَهُ، أَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى صَدِيقٍ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ، أَوْ خَطَبَ فَلَمْ يُرَوِّجْ، أَوْ اسْتَمَهَلَ الدَّيْنَ فَلَمْ يُمَهِّلْ، أَوْ اسْتَنْقَصَ فَلَمْ يُنْقِصْ، وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ لَمْ يَغْضَبْ، وَلَمْ يُعَاقِبْ، وَلَمْ يَتَنَكَّرْ مِنْ حَالِهِ حَالًا، وَلَمْ يَسْتَشْعِرْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ جُفِيَ وَأَوْحَشَ، وَأَنَّهُ

يُقَالُ كُلُّ ذَلِكَ إِذَا وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَضُمُّ أَنَّهُ لَا يَعْتَدُّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقَابِلُ كَلًّا مِنْهُ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَشْبَهَ بِمَا يُحَمَّدُ وَيَرْضَى، ثُمَّ يَكُونُ فِي اتِّقَاءِ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ، كَهَوِّ فِي حَظِّ مَا يَكُونُ لَهُ، فَإِذَا مَرَضَ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ عَادَهُ، وَإِنْ جَاءَهُ فِي شَفَاعَةٍ، وَإِنْ اسْتَمَهَلَهُ فِي قَضَاءِ دَيْنِ أَمَهَلَهُ، وَإِنْ احتَاجَ مِنْهُ إِلَى مَعُونَةٍ أَعَانَهُ، وَإِنْ اسْتَسَمَحَهُ فِي بَيْعٍ سَمَحَ لَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَنَّ الَّذِي عَامَلَهُ كَيْفَ كَانَتْ مُعَامَلَتُهُ إِيَّاهُ فِيمَا خَلَا، أَوْ كَيْفَ يُعَامِلُ النَّاسَ، إِنَّمَا يَتَّخِذُ الْأَحْسَنَ إِمَامًا لِنَفْسِهِ، فَيَنْحُو نَحْوَهُ وَلَا يُخَالِفُهُ، وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً، وَقَدْ يَكُونُ مُكْتَسَبًا، وَإِنَّمَا يَصِحُّ اكْتِسَابُهُ لِمَنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ أَصْلٌ مِنْهُ فَهُوَ يَضُمُّ مَا اكْتَسَبَهُ إِلَيْهِ مَا يَضُمُّهُ، وَمَعْلُومٌ فِي الْعَادَاتِ أَنَّ ذَا الرَّأْيِ بِمُجَالَسَتِهِ أُولِي الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى يَزْدَادُ رَأْيًا، وَأَنَّ الْعَالِمَ يَزْدَادُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ عِلْمًا، وَكَذَلِكَ الصَّالِحُ وَالْعَاقِلُ بِمُجَالَسَةِ الصُّلَحَاءِ وَالْعُقَلَاءِ، فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ ذُو الْخُلُقِ الْجَمِيلِ يَزْدَادُ حُسْنَ خُلُقٍ بِمُجَالَسَةِ أُولِي الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ « انتهى كلامه ﷺ

فحسن الخلق يا معاشر الشباب مما تملكون به القلوب وتكسبون به الأجور فأنتم رابحون في الدنيا والآخرة. وإياك ثم إياك مما يفسد عليك الأخلاق ويظهر بك بمظهر قبيح ويفسد عليك مروءتك ويبغضك عند الله وعند خلقه وهو ما أمرناك بتركه وحذرناك منه في النصيحة التالية. ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

النصيحة السادسة عشر

ترك الحزبيات والتفرق

فكم أفسدت هذه الحزبيات من الأخلاق وكم ضيعت من شباب وكم أهدرت من جهود وكم أفنت من الأوقات والأعمار في غير ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

فلا تجد شاباً يتحزب إلا وتسوء أخلاقه مع أهله ومع الناس، كل ذلك لأن ولاءه وبراءه لحزبه وجماعته لا لله رب العالمين.

والأدلة على تحريم الحزبية أكثر من أن تحصى.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى التحزب في كتابه فقال ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢)

وقال سبحانه ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣)

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٤ / ٢٤٦): « وما ذكره جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين: من أن الدين واحد والرب واحد فلا داعي للاختلاف وأنهم مع ذلك اختلفوا أو صاروا فرقاً أوضحه في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) وزاد أن كل حزب من الأحزاب المختلفة فرحون بما عندهم. وذلك في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾

وقوله في هذه الآية ﴿زُبُرًا﴾ أي قطعاً كزبر الحديد والفضة، أي قطعها. وقوله

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي كل فرقة من هؤلاء الفرق الضالين المختلفين المتقطعين دينهم قطعاً فرحون بباطلهم، مطمئنون إليه، معتقدون أنه هو الحق.

وقد بين جل وعلا في غير هذا الموضع: أن ما فرحوا به، واطمئنوا إليه باطل. اهـ

وقال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣ / ٣٧٧):

«والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً كأهل الملل والنحل -وهي الأهواء والضلالات - فالله قد برأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»^(١).

فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل بُراء منها، كما قال: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. اهـ

وقال سبحانه وتعالى أمرًا عباده بالثبات على الطريق القويم ونبذ الفرقة والحزبيات والعصبيات ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾
الأ، عام: ٣٥١

وهي وصية عظيمة والله من رب العالمين العالم بمصالح عباده وبما ينفعهم ويضرهم

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٣٦٥):

«قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وقوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، ونحو هذا في

(١) (صحيح) صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٣٢)

القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا. قاله مجاهد، وغير واحد.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا الأسود بن عامر: شاذان، حدثنا أبو بكر - هو ابن عياش - عن عاصم - هو ابن أبي النجود - عن أبي وائل، عن عبد الله - هو ابن مسعود، رضي الله عنه - قال: خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ بيده، ثم قال: « هذا سبيل الله مستقيماً. وخط على يمينه وشماله، ثم قال: « هذه السُّبُل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه »^(١). ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. اهـ

📖 من لطائف القرآن:

وانظر علمني الله وإياك إلى هذه اللطيفة في القرآن في هذه السورة السالفة الذكر وهي الأنعام فقد افتتحها ربنا سبحانه بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(١) فيبين فيها أن النور واحد والظلمات كثيرة.

(١) (صحيح) صححه الألباني في ظلال الجنة (١٧)

وقال في آخرها ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

فبين سبحانه وتعالى أن صراطه واحد والسبل كثيرة.

فصرط الله عز وجل هو النور المبين الذي لا يتفرق.

والسبل والتفرقات والتحزبات هي الخروج من ذلك النور إلى الظلمات الكثيرة

التي لا تكاد تنتهي.

فوصى الله عز وجل عباده في آخر السورة بما دلهم عليه في أول السورة من لزوم

النور المبين، ومن أبى ذلك وعدل عن هذا الطريق وهذا النور عاقبه الله سبحانه

وتعالى بأن يجعله يتخبط في الظلمات لا يخرج منها كما بين الله سبحانه وتعالى ذلك

في نفس السورة بقوله ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾

وهذا من نفائس تدبر كتاب الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا

أن هدانا الله.

﴿فصل: في بعض بوائق الحزبية النتنة:﴾

(١) أنها تفرق الناس ولا تجمعهم

فلو عددنا لك الأحزاب التي في الساحة اليمنية فقط لبلغت الثلاثين وقد أمر الله بأن يجتمع الناس تحت حزب واحد وهو حزب الله تعالى الذي من أراد أن يكون منهم فليتمسك بالكتاب والسنة ولهذا بين الله اختلاف الناس فقال ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤ / ٣٦١):

« وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم...

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين. أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه ووازره، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن، من طرق يشد بعضها بعضا: «إن اليهود افرقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».. اهـ

(٢) أنها من صنع أعداء الله

فما عُرِفَت هذه التحزبات إلا من زمن قريب التي أراد بها أعداء الله أن يكسروا شوكة المسلمين ويفرقوا شملهم ويشتتوا جمعهم.

(٣) أنها تذهب بالقوة

لأنها تدعوا إلى أن كل حزب يدعو إلى نهجه وطريقه ويضلل الآخرين ويحذر منهم فيحصل الاختلاف والتنازع والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

ومعنى وتذهب ريحكم أي قوتكم، وهذا ما نراه عياناً في المسلمين والله المستعان.

(٤) أنها تورث العداوة والبغضاء

فأهل التحزب يبغض بعضهم بعضاً ويُعادي بعضهم بعضاً ويكره بعضهم بعضاً وهذا لا يحتاج إلى مزيد كلام فهو واضح وضوح الشمس.

ومنها ما ذكره العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمته الله ^(١):

(١) مستفاد من كتاب حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب من صفحة (١٠٨) وما بعدها (اختصرها أحد الأخوة بتصريف يسير لا يُخل إن شاء الله بالمعنى فجراه الله خيراً)

□ مضار الأحزاب على جماعة المسلمين:

١. ليس يخفى على أهل العلم وطَّالِبُه أن العلاقة بين الافتراق

والحزبية علاقةٌ حميمةٌ، فحيثُ وجدتِ الحزبيةُ، كانَ الافتراقُ، وحيثُ حلَّ الافتراقُ، أقيمتِ الحزبيةُ، فالمجتمعُ الذي توجد فيه الحزبياتُ، توجد فيه الاختلافاتُ والفرقةُ والأسرةُ الواحدةُ أيضاً، والشركةُ الواحدةُ كذلك... إلخ، فأينما وُجدتِ الحزبيةُ وُجدتِ الفرقةُ.

٢. الإسلامُ يَعُدُّ المتَّمي إلى الدعوةِ إلى الله تعالى كُلُّ من جاء

بالشهادتين بحَقِّهما، جاعلاً للإسلام محورَ حياته ونقطةَ انطلاقه، أما الحزبيةُ فجعلت سبيل الدعوةِ إلى الله بحمل بطاقةِ الحزبِ ومنهجِ الحزبِ وأساليبِ الحزبِ في الدعوة، بل أن الحزبيةَ جعلت أصحابها يعتقدون بأنه لا عمل للإسلام إلا بحزبٍ، فإلى أي حزبٍ ينتمي المسلم؟!.

٣. القولُ بجوازِ الأحزابِ في الإسلام، فيه فتحٌ بابٍ لا يردُّ،

بدخولِ أحزابٍ تحمل شعار الإسلام وهي حربٌ عليه مثلُ القاديانية والبريلوية وغيرها، وكم التفَّ حولها من المسلمين؟؟

فليس أمامنا إلا لزوم جماعة المسلمين السائرين على منهاج النبوة. إذا أردنا النجاة

٤. في الحزبية تحجيمٌ للإسلام، فلا يُنظر إليه إلا من خلالها،

فهو تجمع حول شخص، وقيادة معينة، في أطرٍ مخصوصة.

٥. هذه الجماعات متعددة، بل الجماعة في نفسها متعددة إلى

جماعات غالباً، والتعدد دليل على الاختلاف، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها جماعة، وتدعو إليها وتقيم جماعتها، وهذا يزيد في الفرقة وتمزيق الجماعة المسلمة.

٦. الحزبيات تفتت الإخاء الإسلامي وتبني حجاباً أمامه،

فتؤدي إلى التناكر في القلوب، وتبادل الطرف الحسير بين مسلمين في حزين قلب كل منهما معمق وفق تخطيط ومنهج لا يلتقي مع الآخر، فيتبدد الإخاء الإسلامي، وانظر إلى التنازع بين الجماعات على ضم فرد أو أفراد، حتى ولو أدى إلى تزكية جماعة والقدح في أخرى.

٧. ومن مضار الحزبية: التنازع بالألقاب بين الجماعات: ومن

هذا تسمية بعض الجماعات المعاصرة لمن ينتمي إليهم: (أخاً) أو (فاهم) أو (ملتزم)، ومن لم ينتم إلى جماعتهم باسم (الآخرين)، والعالم الذي لم ينتم إليهم (ليس واعياً) (ليس فقهياً) (لا يفهم الواقع)، وإصاق التهم الكاذبة بالعلماء والتنفير منهم.

٨. الحزبية تقوم على التسليم بأراء الجماعة، وتوزيعها،

ونشرها، وسد منافذ النظر والنقد لها.

٩. الأحزاب لا تُعنى بترسيخ العقيدة، ولا التفقه في الدين،

ولا نشر اللغة العربية، ولذلك لا ترى لهم علماء جهابذة، يُرجع إليهم في الفتوى والاجتهاد.

١٠. ومن أضرارها: إضفاء هالة من المدح والثناء على زعماء

تلك الجماعات حتى ولو كانوا جهّالاً أو ليسوا من الراسخين في العلم.

١١. ومن أثارها السيئة: منح اعداء الإسلام العذر في الطعن

على الإسلام في عقيدته وأحكامه، لأن العقيدة تجمّع ولا تفرّق، فكيف صار أهل العقيدة الواحدة متفرقين متباغضين؟! بل أن من المسلمين من لا يتمسك بالإسلام الصحيح عندما يرى ما عليه الأحزاب والجماعات.

١٢. ومن آثار الحزبية: عند بعض من ينتمون إلى الأحزاب

والجماعات: أن من انتظم في حزبهم أو جماعتهم يستحقّ العون والنصرة والإخاء وغيرها من الحقوق، ومن لم ينتظم معهم لا يستحقّ تلك الحقوق، مع أن الإسلام أعطى للمسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلماً، لا لسببٍ آخر.

١٣. الخلط بين السنن والبدع، واختفاء معالم السنن لدى هذه

الأحزاب والجماعات فعقائدهم مختلفة، وعبادتهم مختلفة، ومذاهبهم مختلفة.

١٤. ومن مضار الأحزاب: استقطاب كل الفرق التي تدعي

الإسلام بدون تمييز بين سني وباطني وصوفي وخارجي وغيرها من الفرق. انتهى

ولهذا تنبه يا أيها الشاب من عواصف الحزبية التي إذا عصفت بك هلكت فإن النبي ﷺ يقول كما عند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» [الصحيحة (١٣٤٨)]

وما أجمل ما قاله ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٥٤) حيث قال:

«قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (١١٤) وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة؛ ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم فاتبعوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال والانتصار لهم وفهم ما قالوه، وبثه في المجالس والمحاضر. وأعرضوا عما جاء به

الرسول صلى الله عليه وسلم صنفًا. ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلبًا للفضيلة.

وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفرغ قوى النفس في طلبه وفهمه، وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها، وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحدا منهم يحدث به نفسه فضلا عن أن يكون أحيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجي سواه.

فوارحمنا لعبد شقي في طلب العلم واستفرغ قواه واستعد فيه أوقاته وآثره على ما الناس فيه. والطريق بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مسدود وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعيم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب، فلم يفز إلا بأخس المطالب.

سبحان الله إن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدتها، وحيرت العقول عن طرق قصدها، تربى فيه الصغير وهرم عليه الكبير ... »

إلى أن قال ﷺ (٢/ ٥٨):

« حرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي وتضييع الأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها فخانتهم أحرص ما كانوا عليها وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور، وتميز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه؛ وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه وقدموا على ما قدموه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه.

فياشدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً مثورًا، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانيه خُلْبًا^(١) وغرورًا، فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى يوم تبلى السرائر، وما عذر من نبذ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر. أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينجو غداً بآراء الرجال ويتخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال أو بالشطحات و[الإشارات]^(٢) وأنواع الخيال، هيهات. والله لقد ظن أكذب الظن ومنى نفسه أبين المحال، وإنما ضمنت النجاة

(١) قال الجوهرى في الصحاح (١/ ٣٠٨): والبرقُ الخُلْبُ: الذي لا غيث فيه، كأنه خادع، ومنه قيل لمن يَعْدُ ولا يُنْجِرُ: إنما أنت كبرقٍ خُلْبٍ. والخُلْبُ أيضاً: السحاب الذي لا مطر فيه يقال برقٌ خُلْبٍ.

(٢) في الأصل [والمشارات] وهي بمعناها وما أثبتناه أوضح للقارئ والتصويب من مدارج السالكين والتفسير القيم.

لمن حكم هدى الله تعالى على غيره وتزود التقوى واثم بالدليل وسلك الصراط المستقيم واستمسك من التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم . اهـ

فالحذر الحذر يا معاشر الشباب من الفرقة والاختلاف واللهث وراء الأحزاب والجمعيات، وعليكم بالثبات على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ومن سار على نهجهم وذلك بلزوم الطريق المستقيم والهدي القويم الذي ساروا عليه والذي لا اعوجاج فيه.

وهذا لا يكون إلا بأن تعرف نهجهم والأصول التي ساروا عليها وخصائصهم التي ميزتهم عن غيرهم وهذا ما حرصنا عليه في النصيحة التالية.



النصيحة السابعة عشر

اعرف طريق السلف وما خصهم الله به

فمعرفة لك ما كان عليه السلف الصالح يوضح لك الطريق والنهج الذي كانوا يسرون عليه، ويبين لك بجلاء ضرورة السير على نهجهم، وذلك لما تميزوا به من الصفات ولما خصهم الله به عن سائر الأمة من الهبات.

فإن كثيراً من الشباب يحتار حين نقول له كن على ما كان عليه السلف، فيقولون: لماذا؟ أوليسوا رجالاً ونحن رجال!! وهم قرأوا القرآن ونحن نقرأه، وهم لهم أفهام ونحن لنا أفهام.

من أجل ذلك رأينا ضرورة أن تعرف أنه لا بد من السير على ما ساروا عليه والتمسك بما كانوا عليه لأن الله أمرنا بذلك أولاً، وكذلك لما حباهم الله به من دوننا.

فترقب الجواب على سؤالك فستراه قريباً إن شاء الله بما يشفي غليلك
ويذهب بوح صدرك علينا وعلى قولنا بالتمسك بما جاءوا به.

○ لكن لا بد قبله أن نبين لك أموراً تهتك وتمهد لك الإجابة

وهي:

أولاً: من المقصود بالسلف

اعلم رحمك الله أنه إذا أطلق السلف فالمقصود بهم النبي ﷺ وأصحابه ومن سار على نهجهم من بعدهم من التابعين وتابع التابعين.

ودليل ذلك قول النبي ﷺ لفاطمة (رضي الله عنها) « وَنَعَمْ السَّلَفُ أَنَا لَكَ » [أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها)]

قال ابن منظور في لسان العرب (٩ / ١٥٨):

« والقَوْمُ السُّلَافُ: الْمُتَقَدِّمُونَ. وَسَلَفَ الرَّجُلُ: أَبَاؤُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ، وَالْجَمْعُ أَسْلَافٌ وَسُلَافٌ. وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: سُلَافٌ لَيْسَ بِجَمْعٍ لَسَلَفٍ وَإِنَّمَا هُوَ جَمْعُ سَالِفٍ لِلْمُتَقَدِّمِ، وَجَمْعُ سَالِفٍ أَيْضاً سَلَفٌ، وَمِثْلُهُ خَالَفٌ وَخَلَفٌ ». اهـ

قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط (١ / ٢٧):

« (...) السلف) هم العلماء المتقدمون في الصدر الاول من الصحابة والتابعين وأتباعهم. (والخلف) المتأخرون عنهم والقائمون مقامهم في النظر والاجتهاد (في كل عصر) أي دهر وزمان ». اهـ وكذا قاله الزبيدي في تاج العروس.

فصل:

هل كل من جاء بعدهم وسار على نهجهم يعد منهم؟

الجواب: « [لا بد من التحديد الدقيق للتعريف بالسلف بحيث يشمل:

أولاً: التحديد الزمني: ليشمل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهذا لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف، وفائدة هذا التحديد الرجوع إلى أقوال رجال هذا الزمن وإلى فهمهم عند الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم. وهذه مسألة مهمة جداً؛ إذ الخلاف الحاصل بعد القرون المفضلة بين من يتمسك بمذهب السلف ومن عداهم من أهل الأهواء والبدع لا يمكن حسمه إلا بالاتفاق على مثل هذا التحديد التاريخي ليحتكم إلى إجماعهم - إذا أجمعوا - أو أقوالهم، أو فهمهم للنصوص.

ولا يعني هذا حصر مذهب السلف في هؤلاء، لأن كل من قال بقولهم فهو على السلف وإن تأخر.

ثانياً: ثم يأتي بعد ذلك بيان أن الفهم والمنطلق يجب أن يكون بما يوافق الكتاب والسنة، فمن ابتدع في أمر من الأمور واتخذ لبدعته منهاجاً خاصاً، لا يكون قوله قولاً للسلف، ولو كان هذا في القرون الأولى، لأن وجوده في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائر على مذهب السلف.

ثالثاً: بعد ظهور الافتراق يصبح مدلول "السلف" منطبقاً على من حافظ "على العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقفوه جيلاً بعد جيل"، فمن سار على طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين اتبعوا ولم يتدعوا فهو سائر على مذهب السلف، وهو أيضاً بالنسبة لمن بعده من السلف.

والخلاصة أن مصطلح السلف صار له مدلولان:

*** مدلول خاص:** وهذا ينطبق على مذهب الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، ممن لم يتدعوا، وهذا فيه حصر تاريخي.

*** ومدلول أعم:** يشمل ما بعد هذه القرون المفضلة، وهذا شامل لكل من سار على طريقة ومنهج خير القرون، والتزم النصوص والفهم الذي فهموه. ^(١)

فإذا فهمت هذا فاعلم علّمك الله أنه لا حرج على من تسمى بهذا الاسم وانتسب إليهم وسُمي بالسلفي مادام أنه سائر على نهجهم ولم يتنكب عن الطريق التي ساروا عليها.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٩):

« لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا فإن كان موافقا له باطنا وظاهرا فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا وإن كان موافقا له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق فتقبل منه علانيته وتوكل سريره إلى الله فإننا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم ». اهـ

ثانياً: وهو سؤالك الذي سألت عنه قد حان جوابه وهو:

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١ / ٢٨)

لماذا ينبغي علينا السير على ما سار عليه الصحابة خصوصاً والسلف عموماً؟

الجواب من وجوه عدة ومنها:

• أنهم خير خلق الله بعد الأنبياء

أخرج البخاري عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - قَالَ عمرانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَحْجُونَ وَلَا يُؤْتَمَتُونَ، وَيَنْذَرُونَ وَلَا يُفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ »

وعنده أيضاً عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِتَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فَيْكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِتَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِتَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مِنْ صَاحِبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ »

• ولأنهم من أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسير على نهجهم

لما جاء عند الترمذي وغيره من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوً

النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَّكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقُوا أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» [الصحيحه (١٣٤٨)]

• ولأن الله قد رضي عنهم

قال الله سبحانه ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿

• لملازمتهم لرسول الله ﷺ وهم أعرف الناس بمراد رسول الله

ﷺ منا

• ولأنهم أعظم دينًا وتقوى وورعًا

• ولأنهم أفهم الناس باللغة العربية ففيهم نزل القرآن وهو بلغتهم

• ولأنهم أمة لهذه الأمة

لما ثبت عند مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»

- لخلو زمانهم من البدع والأهواء والمحدثات
- عدم اختلافهم في أصول الدين واجتماعهم عليها

لما ثبت عند مسلم من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيْمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ »

- أن طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى (٤ / ١٥٧) في معرض رده على بعض الطوائف:

« وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف ويقولون طريقة السلف أسلم وطريقة هؤلاء اعلم وأحكم فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفان والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل وغايتهم عندهم أن يقيموا أعدارهم في التقصير والتفريط.

ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض فإنه وإن لم يكن تكفيرا للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ولا تفسيقاً لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية

وغيرهم كان تجهيلاً لهم وتخطئة وتضليلاً ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي وإن لم يكن فسقاً فرعماً أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت ذلك عن النبي **صلى الله عليه وسلم** من غير وجه وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم كما قال عبدالله بن مسعود **رضي الله عنه** « من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » وقال غيره « عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي ولم يحدث بعدهم خير كما من لم يعلموه »

هذا وقد قال **صلى الله عليه وسلم** « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم »^(١)

فكيف يحدث لنا زمان في الخير في أعظم المعلومات وهو معرفة الله تعالى هذا لا يكون أبدا

وما أحسن ما قال الشافعي **رحمه الله** في رسالته « هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا »

وأيضا فيقال لهؤلاء الجهمية الكلابية كصاحب هذا الكلام أبي محمد وأمثاله كيف تدعون طريقة السلف وغاية ما عند السلف أن يكونوا موافقين لرسول الله فإن عامة ما عند السلف من العلم والإيمان هو ما استفادوه من نبيهم الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وهداهم به إلى صراط العزيز الحميد الذي **قال الله فيه**

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **وقال تعالى**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ^(٢٨) **لَتَلَّيَعَلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ **وقال تعالى** ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ**

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٣ / ١١٣٤):

« فلو تبين لهذا البائس وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه
النصوص من الصفات وفهمها وتدبرها وتعقل معانيها وتنزيه الرب عن تشبيهه
فيها بخلقه كما ينزهونه عن العيوب والنقائص وإبطال طريقة النفاة المعتلة وبيان
مخالفتها لصريح المعقول كما هي مخالفة لصحيح المنقول، عَلِمَ أن طريقة السلف أعلم
وأحكم وأسلم وأهدى إلى الطريق الأقوم وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر
وفهم ذلك ومعرفته ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب وخيال ومن جعل
طريقة السلف عدم العلم بمعاني الكتاب والسنة وعدم إثبات ما تضمناه من
الصفات فقد أخطأ خطأ فاحشاً على السلف كما أن من قال على الرسول أنه لم يبعث
بالإثبات وإنما بعث بالنفي كان من أعظم الناس افتراء عليه فهو لاء المعتلة مفترون
على الله ورسوله وعلى سلف الأمة وعلى العقول والفطر وما نصبه الله من الأدلة

العقلية والبراهين اليقينية والكذب قرين الشرك كما قرن الله بينهما في غير موضع

كقوله تعالى ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣﴾ حُفَاةَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴿٤﴾ . اهـ

ثالثاً: أصول أهل السنة والجماعة:

اعلم وفقك الله أن هذه الدعوة المباركة لها أصول وقواعد تنبني عليه هذه الدعوة الطيبة، والتي من خلالها يُعرَفُ المبتدع والمخالف للنهج القويم، والتي يُعرف بها من تحزب ومن تحزب، فمن خالف هذه الأصول أو بعضها فقد اختار لنفسه نهجاً غير الذي سار عليه سلفنا الصالح **عليهم رضوان الله**، فهي مُستقاة أصلاً من سيرهم وطريقهم ومن نهجهم الذي ساروا عليه.

وهذه الأصول ذكر بعضها العلامة الفوزان في كتابه من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة.

حيث قال **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه المذكور (ص ١٦) وما بعدها:

« إن أهل السنة والجماعة يسировون على أصول ثابتة وواضحة في الاعتقاد والعمل والسلوك وهذه الأصول العظيمة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم** وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وهذه الأصول تتلخص فيما يلي:

الأصل الأول

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره^(١)

(١) خالف في هذا الأصل فرق كثيرة منها الجهمية والمعتزلة والقدرية والأشاعرة والماتريدية والكلابية والرافضة والصوفية والفلاسفة وغيرهم، وهم بين مقل ومستكثر على تفصيل تجده في كتب العقيدة وليس هذا محل بسطه.

الأصل الثاني

الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١)

فليس الإيمان قولاً وعملاً دون اعتقاده، لأن هذا إيمان المنافقين، وليس هو مجرد

المعرفة بدون قول وعمل لأن هذا إيمان الكافرين الجاحدين. قال تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظُومًا﴾.

وقال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣)

وقال تعالى ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِهِمْ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨)

وليس الإيمان اعتقاداً فقط أو قولاً واعتقاداً دون عمل لأن هذا إيمان المرجئة والله تعالى كثيراً ما يسمي الأعمال إيماناً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

(١) خالف هذا الأصل طوائف ومنها الحرورية والمعتزلة والمرجئة والجهمية على تفصيل تجده في كتب العقيدة.

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت

المقدس، سمي الصلاة إيماناً.

الأصل الثالث

عدم تكفير أحد من المسلمين إلا بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام^(١).

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون أحداً من المسلمين إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام أما ما كان من الكبائر التي هي دون الشرك ولم يدل دليل على كفر مرتكبها - كترك الصلاة تكاسلاً - فإنهم لا يحكمون على مرتكبها - أي الكبائر - بالكفر وإنما يحكمون عليه بالفسق ونقص الإيمان. وإذا لم يتب منها فإنه تحت المشيئة - إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه لكنه لا يخلد في النار - قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

ومذهب أهل السنة في ذلك وسط بين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة وإن كانت دون الكفر وبين المرجئة الذين يقولون هو مؤمن كامل الإيمان ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

الأصل الرابع

(١) خالف هذا الأصل فرق ومنها الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة (الذين كفروا كثيراً من الصحابة) وغيرها.

وجوب طاعة ولادة أمور المسلمين ما لم يأمرؤا بمعصية^(١).

ومن أصول أهل السنة والجماعة وجوب طاعة ولادة أمور المسلمين ما لم يأمرؤا بمعصية فإذا أمرؤا بمعصية فلا تجوز طاعتهم فيها وتبقى طاعتهم بالمعروف في غيرها. عملاً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»... ويرون أن معصية الأمير المسلم معصية للرسول صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «من يطع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني» [أخرجه البخاري ومسلم]. ويرون الصلاة خلفهم والجهاد معهم والدعاء لهم بالصالح والاستقامة ومناصحتهم.

الأصل الخامس

تحريم الخروج على ولادة أمور المسلمين إذا ارتكبوا مخالفة دون الكفر^(٢).

ومن أصول أهل السنة تحريم الخروج على ولادة أمور المسلمين إذا ارتكبوا مخالفة دون الكفر لأمره صلى الله عليه وسلم بطاعتهم في غير معصية ما لم يحصل منهم كفر

(١) وممن خالف هذا الأصل الخوارج وفي هذا الزمان الإخوان المسلمون الذين بسببهم سفكت الدماء وهتكت الأعراض ويتم كثير من الأطفال وقطعت السبل وساد الخوف وغلّت الأسعار بسبب شقاقهم لحكامهم وعدم طاعتهم لهم والله المستعان.

(٢) وخالف هذا الأصل الإخوان المفلسون وخرجوا عليهم بالمظاهرات والتحريضات وتقطيع السبل بل وأوجبوا على الناس الخروج عليهم.

بواح، بخلاف المعتزلة الذين يوجبون الخروج على الأئمة إذا ارتكبوا شيئاً من الكبائر ولو لم يكن كفرًا ويعتبرون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والواقع أن عمل المعتزلة هذا هو أعظم المنكر: لما يترتب عليه من مخاطر عظيمة من الفوضى وفساد الأمر واختلاف الكلمة وتسلب الأعداء.

الأصل السادس

سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى لما ذكر المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

وعملًا بقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » [أخرجه البخاري ومسلم]. خلافاً للمبتدعة من الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة ويحسدون فضائلهم. ويرى أهل السنة أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم

(١) خالف هذا الأصل الرافضة قاتلهم الله فسبواهم بل وكفروهم ومنهم الحوثيون في بلدنا قطع الله دابرهم وعجل بزوالهم.

عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين فمن طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله لمخالفته النص والإجماع على خلافة هؤلاء على هذا الترتيب.

الأصل السابع

محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوليهم^(١)

ومن أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوليهم عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «أذكركم الله في أهل بيتي» [أخرجه مسلم، والإمام أحمد، وابن أبي عاصم في "كتابه السنة"].

ومن أهل بيته أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن، فقد قال الله تعالى بعد ما خاطبهن بقوله: ﴿يَكْنِزْنَ الْكِبَى﴾ ووجه إليهن نصائح ووعدهن بالأجر العظيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

والأصل في أهل البيت قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد بهم هنا الصالحون منهم خاصة، أما قرابته غير الصالحين فليس لهم الحق كعمه أبي لهب ومن

شابه، قال تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾

(١) خالف هذا الأصل النواصب الذين نصبوا العداء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمجرد القرابة من الرسول **صلى الله عليه وسلم** والانتساب إليه من غير صلاح في الدين لا يغني صاحبه من الله شيئاً، قال **صلى الله عليه وسلم**: « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً. يا فاطمة بنت محمد سليلي من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً » [أخرجه البخاري ومسلم].

وقرابة الرسول الصالحون لهم علينا حق الإكرام والمحبة والاحترام، ولا يجوز لنا أن نغلو فيهم فتتقرب إليهم بشيء من العبادة أو نعتقد فيهم أنهم ينفعون أو يضررون من دون الله لأن الله سبحانه يقول لنبيه **صلى الله عليه وسلم**: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ فإذا كان الرسول **صلى الله عليه وسلم** كذلك فكيف بغيره فما يعتقد به بعض الناس بمن ينتسبون لقرابة الرسول اعتقاد باطل.

الأصل الثامن

التصديق بكرامات الأولياء^(١)

(١) بالغ في هذا الأصل الصوفية وجماعة التبليغ، وأهل السنة يثبتونه من غير إفراط ولا تفريط ومن هو أهل لذلك.

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وهي ما قد يجريه الله على أيدي بعضهم من خوارق العادات إكراماً لهم كما دل على ذلك الكتاب والسنة. وقد أنكر وقوع الكرامات المعتزلة والجهمية وهو إنكار لأمر واقع معلوم - ولكن يجب أن نعلم أن من الناس في وقتنا من ضل في موضوع الكرامات وغالى فيها حتى أدخل فيها ما ليس منها من الشعوذة وأعمال السحرة والشياطين والدجالين - والفرق واضح بين الكرامة والشعوذة - فالكرامة ما يجري على أيدي عباد الله الصالحين. والشعوذة ما يجري على يد السحرة والكفرة والملاحدة بقصد إضلال الخلق وابتزاز أموالهم، والكرامة سببها الطاعة. والشعوذة بسببها الكفر والمعاصي

الأصل التاسع

اتباع ما جاء في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً^(١)

ومن أصول أهل السنة والجماعة في الاستدلال اتباع ما جاء في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً واتباع ما كان عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار عموماً واتباع الخلفاء الراشدين خصوصاً حيث أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله **صلى الله عليه وسلم: « عليكم بسنتي وسنة**

(١) خالف هذا الأصل أهل البدع والمحدثات الذين تنكبوا عن طريق الاتباع وسلكوا طريق الابتداع ويدخل فيهم الإخوان وأهل الأحزاب وجماعة التبليغ والصوفية وكل من ابتدع وخالف نهج النبي صلى الله عليه وسلم تعصياً وعناداً.

الخلفاء الراشدين « ولا يقدمون على كلام الله وكلام رسوله كلام أحد من الناس . ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة . وبعد أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله يأخذون بما أجمع عليه علماء الأمة وهذا هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه بعد الأصلين الأولين: الكتاب والسنة . وما اختلف فيه الناس ردوه إلى الكتاب والسنة عملاً بقوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩) النساء: ٩٥

فهم لا يعتقدون العصمة لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتعصبون لرأي أحد حتى يكون موافقاً للكتاب والسنة ويعتقدون أن المجتهد يخطئ ويصيب، ولا يسمحون بالاجتهاد إلا لمن توفرت فيه شروطه المعروفة عند أهل العلم . ولا إنكار عندهم في مسائل الاجتهاد السائغ . فالاختلاف عندهم في المسائل الاجتهادية لا يوجب العداوة والتهاجر بينهم كما يفعله المتعصبة وأهل البدع . بل يجب بعضهم بعضاً ويوالي بعضهم بعضاً ويصلي بعضهم خلف بعض مع اختلافهم في بعض المسائل الفرعية بخلاف أهل البدع فإنهم يعادون أو يضللون أو يكفرون من خالفهم « . اهـ [انتهى بتصرف من كتاب (من أصول أهل السنة والجماعة)]

قلت: وقوله " من أصول ... " يدل على أن هناك أصولاً غيرها ومنها:

الأصل العاشر

لزوم الجماعة (١)

أخرج الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُخْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ» [الصحيحة (٤٣٠)]

وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟

(١) خالف هذا الأصل الكثير من فرق الضلال الذين ارتضوا لهم نهجا غير نهج الجماعة ومنهم عبد الرحمن العدني وحزبه الذين فارقوا الجماعة وأثاروا فتنة لا يعلم عظمها إلا الله حتى فرقوا طلبة العلم وشتتوا شملهم، والله المستعان.

قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»

وروى الطبراني في الكبير عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «الْجُمَاعَةُ».

[الصحيحة (١٤٩٢)]

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ، وَأَبِي دَاوُدَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ: «اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجُمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ».

وَفِي مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ يَسِيرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: شِيعْنَا ابْنَ مَسْعُودٍ حِينَ خَرَجَ، فَتَزَلَّ فِي طَرِيقِ الْقَادِسِيَّةِ فَدَخَلَ بُسْتَانًا، فَقَضَى الْحَاجَةَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى جَوْرَبِيهِ ثُمَّ خَرَجَ وَإِنَّ لِحْيَتَهُ لَيَقْطُرُ مِنْهَا الْمَاءُ، فَقُلْنَا لَهُ: اعْهَدْ إِلَيْنَا فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ وَقَعُوا فِي الْفِتَنِ وَلَا نَذَرِي هَلْ نَلْقَاكَ أَمْ لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ،

وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّةً مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ» [ومرجاله ثقات وأبواسامة هو حماد بن أسامة القرشي وهو ثقة ثبت فالأثر صحيح إلى ابن مسعود].

وقد يظن من يسمع هذه الأحاديث أن المقصود بالجماعة هم الكثرة وهذا فهم قاصر فلهذا أردنا أن نبين المقصود بهذه الجماعة.

○ فصل: في المقصود بالجماعة في هذه الأحاديث:

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٢٦٠):

«ثَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، أَي: أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى اتِّبَاعِ آثَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي النَّفِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، وَلَمْ يَتَدَعُوا بِالْتَّخْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ.

قَالَ شَرِيحٌ: إِنَّ السُّنَّةَ قَدْ سَبَقَتْ قِيَاسُكُمْ فَاتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَضِلَّ مَا أَخَذْتَ بِالْأَثَرِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا رَأَيْي بِمَنْزِلَةِ الْمَيْتَةِ إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهَا أَكْلَتَهَا، وَعَنْ سُفْيَانَ: لَوْ أَنَّ فِقْهَهَا عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَكَانَ هُوَ الْجَمَاعَةُ «وَأَنَّهُ سَيُخْرِجُ»: وَفِي الْمَصَابِيحِ وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: وَأَنَّهُ سَيُخْرِجُ أَيَّ يَظْهَرُ «فِي أُمَّتِي» وَفِي نُسخَةٍ: مِنْ أُمَّتِي «أَقْوَامٌ»، أَي: جَمَاعَاتٌ «تَتَجَارَى»: بِالتَّائِينَ أَيَّ تَدْخُلُ وَتَخْرِي وَتَسْرِي «بِهِمْ»، أَي: فِي مَفَاصِلِهِمْ «تِلْكَ الْأَهْوَاءُ» جَمْعُ هَوَى وَهُوَ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْبِدْعَةُ، فَوَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَضَعًا لِلْسَّبَبِ مَوْضِعَ الْمُسَبَّبِ لِأَنَّ هَوَى الرَّجُلِ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى إِبْدَاعِ الرَّأْيِ الْفَاسِدِ أَوْ الْعَمَلِ بِهِ، وَذَكَرُ الْأَهْوَاءِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ تَنْبِيْهًُا عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِ

الهُوَى وَأَصْنَافِ الْبِدْعِ يُقَالُ: تَجَارَوْا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى كُلُّ مِنْهُمْ مَعَ صَاحِبِهِ «كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ»: بَفَتْحَتَيْنِ دَاءٌ مَخُوفٌ يَحْضُلُ مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ الْمُجْنُونِ وَيَتَفَرَّقُ أَثَرُهُ «بِصَاحِبِهِ»، أَيُّ: مَعَ صَاحِبِهِ إِلَى جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، أَيُّ: مِثْلُ جَرِي الْكَلْبِ فِي الْعُرُوقِ «لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ»: بِكَسْرِ الْعَيْنِ «وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ». فَكَذَلِكَ تَدْخُلُ الْبِدْعُ فِيهِمْ وَتُؤَثِّرُ فِي أَعْضَائِهِمْ، قِيلَ: الْكَلْبُ دَاءٌ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ عَضَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ أَيْ الْمَكْلُوبِ، وَهُوَ الْمُجْنُونُ فَيُصِيبُهُ شِبْهُ الْجُنُونِ، وَلَا يَعِضُّ الْمُجْنُونُ أَحَدًا إِلَّا كَلَبَ أَيْ جَنَّ، وَيَعْرِضُ لَهُ أَعْرَاضٌ رَدِيئَةٌ تُشَبِّهُهَا الْإِلْيُخُولِيَا مُهْلِكَةٌ غَالِبًا، وَيَمْتَنِعُ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ حَتَّى يَمُوتَ عَطْشًا، وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ أَنَّ دَوَاءَهُ قَطْرَةٌ مِنْ دَمٍ يُخْلَطُ بِمَاءٍ فَيُسْقَاهُ».

اهـ

وبعض الناس قد يستوحش من هذا الطريق لقلة أهل السنة والجماعة وكثرة المخالفين في هذا الأصل العظيم.

ولله در ابن القيم رحمه الله إذ يقول في إغاثة اللهفان (١ / ٦٩):

«وقد يمرض القلب ويشد مرضه ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه وتألم بجهله بالحق بحسب حياته

وما لجرح بميت إيلام

وقد يشعر بمرضه ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها فهو يؤثر بقاء الله على مشقة الدواء فإن دواءه في مخالفة الهوى وذلك أصعب شيء على النفس وليس لها أنفع منه

وتارة يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه لضعف علمه وبصيرته وصبره: كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي بهم أسوة وهذه حال أكثر الخلق وهي التي أهلكتهم فالْبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب.

ولقد سئل **إسحاق بن راهويه** عن مسألة فأجاب فقليل له: إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل ذلك فقال: "ما ظننت أن أحدا يوافقني عليها" ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافقة فإن الحق إذا لاح وتبين لم يحتج إلى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس فإذا رأى الرائي الشمس لم يحتج في علمه بها واعتقاده أنها طالعة إلى من يشهد بذلك ويوافقه عليه.

وما أحسن ما قال أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب **الحوادث والبدع**: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم قال **عمر بن ميمون الأودي**: صحبت معاذا باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس **عبدالله بن مسعود رضي الله عنه** فسمعتة يقول: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة» ثم سمعتة يوما من الأيام وهو يقول: «سيلي عليكم ولالة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة» قال قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا قال: وما ذاك قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة! قال: «يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدري ما الجماعة» قلت: لا قال: «إن جمهور الجماعة: الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك» وفي طريق أخرى فضرب على فخذي وقال: «ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل»

قال نعيم بن حماد: يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ذكره البيهقي وغيره

وقال أبو شامة عن مبارك عن الحسن البصري قال: «السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجاني فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذاك إن شاء الله فكونوا». وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال: ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبا فما مكنت من ذلك فستل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم فقال: محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الإجماع وهو السواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيرا». اهـ

فهذا كلامُ إمامٍ بصيرٍ عالمٍ بأمراض القلوب وعلاجها، فخذ به وإياك والتهاون في تعاطي الدواء إذا أردت الشفاء من الأدواء.

فصل:

كيف يكون أهل السنة هم الجماعة وهم قد يختلفون أحيانا فيما

بينهم؟

الجواب: سُئل العلامة العباد حفظه الله:

ما رأيكم في مقولة من يقول: السلفيون في هذا الزمان أهل سنة وليسوا أهل جماعة؛ لأنهم من أشد الناس تفرقاً؟

فأجاب حفظه الله: « هذا كلام متناقض ؛ لأن أهل السنة هم الجماعة، والسنة والجماعة متلازمتان، وكتب العقائد فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل العقيدة الطحاوية، والرسول ﷺ قال: « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قيل: من يا رسول الله؟ قال: « الجماعة » وفي لفظ: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » .

فقوله: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » يدل على اتباع السنة، واتباع ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفهم بأنهم جماعة ثم كونه يقول: إنهم أهل سنة وإنهم ليسوا جماعة هذا كلام غير صحيح؛ لأن أهل السنة هم الجماعة، والجماعة وأهل السنة والطائفة المنصورة والفرقة الناجية؛ كل هذه الصفات لفرقة واحدة، وهم من هم على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكونه يصير هناك شيء من الاختلاف والتنافر لأمر دنيوي أو لأمر أخرى هذا لا يؤثر على الاتفاق في العقيدة وعلى ما كان عليه سلف الأمة، فإذا وجد شيء من ذلك لا يقال: إن هذا يقتضي أن يفرق بين السنة والجماعة، وأن السنة شيء والجماعة شيء، بل أهل السنة هم الجماعة، والجماعة هم أهل السنة، وعقائد أهل السنة فيها ذكر السنة والجماعة معاً فلا يقال: إن هذا شيء وهذا شيء آخر . اهـ

فصل:

وقد يقول آخر: فكيف حكمتم على أنفسكم بأنكم أهل السنة والجماعة ومن دونكم ليسوا كذلك ولعلكم من جُمْلَةِ المدَّعين لها؟

الجواب:

قال السمعاني رحمته الله في الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ٥٢)

« فَإِنْ قَالَ قَائِلُ إِنَّكُمْ سَمِيتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَهْلَ السَّنَةِ وَمَا نَرَاكُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَدْعِينَ لَأَنَا وَجَدْنَا كُلَّ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ تَتَحَلَّى اتِّبَاعَ السَّنَةِ وَتَنْسِبُ مِنْ خَالَفِهَا إِلَى الْهُوَى وَلَيْسَ عَلَى أَصْحَابِكُمْ مِنْهَا سَمَةٌ وَعَلَامَةٌ أَنَّهُمْ أَهْلُهَا دُونَ مَنْ خَالَفَهَا مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ فَكُلُّهَا فِي انْتِحَالِ هَذَا اللَّقَبِ شُرَكَاءُ مُتَكَافِئُونَ وَلَيْسَتْ أُولَى هَذَا اللَّقَبِ إِلَّا أَنْ تَأْتُوا بِدَلَالَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ أَوْ مِنْ إِجْمَاعٍ أَوْ مَعْقُولٍ »

الجواب: قَوْلُكُمْ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ دَعْوَى إِلَّا بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ دَلَالَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، هُمَا لَنَا قَائِمَتَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمِنْهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

فَأَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا سَنَّ وَأَمَرَ وَنَهَى وَحَكَمَ وَعَلَّمَ

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِينَ

مِنْ بَعْدِي » وَقَالَ « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي »

ثُمَّ لَعَنَ تَارِكُ سِتِّهِ عَلَى مَا رُويَ أَنَّهُ قَالَ « سِتَّةٌ لَعْنَتُهُمْ وَكُلُّ نَبِيٍّ مَجَابِ الدَّعْوَةِ »^(١)
وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ التَّارِكَ لِسِتِّي

فَوَجَدْنَا سِتِّهِ وَعَرَفْنَاهَا بِهَذِهِ الْأَثَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي رَوَيْتَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحَاحِ
الْمُتَّصِلَةِ الَّتِي نَقَلَهَا حِفَازُ الْعُلَمَاءِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ

ثُمَّ نَظَرْنَا فَرَأَيْنَا فِرْقَةَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لَهَا أَطْلُبُ وَفِيهَا أَرْغَبُ وَلَهَا أَجْمَعُ
وَلِصَحَابِهَا أَتْبَعُ فَعَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّهُمْ أَهْلُهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَقِ فَإِنْ
صَاحِبُ كُلِّ حِرْفَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ مِنْ صِنَاعَتِهِ وَآلَةٍ مِنْ آلَاتِهِ
ثُمَّ ادَّعَى تِلْكَ الصَّنَاعَةَ كَانَ فِي دَعْوَاهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ مُبْطَلًا وَفِي الْمَعْقُولِ عِنْدَهُمْ
مُتَجَهِّلًا فَإِذَا كَانَتْ مَعَهُ آلَاتُ الصَّنَاعَةِ وَالْحِرْفَةِ شَهِدَتْ لَهُ تِلْكَ الْآلَاتُ بِصِنَاعَتِهِ
بَلْ شَهِدَ لَهُ كُلٌّ مِنْ عَايِنِهِ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ

كَمَا أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا قَدْ فَتَحَ بَابَ دُكَّانِهِ عَلَى بَزْ عِلْمَتْ أَنَّهُ بَزَّازٌ وَإِنْ لَمْ تَحْتَبِرْهُ
وَإِذَا فَتَحَ عَلَى تَمَرٍ عِلْمَتْ أَنَّ تَمَارًا وَإِذَا فَتَحَ عَلَى عَطَرٍ عِلْمَتْ أَنَّهُ عِطَارٌ...

وَرَأَيْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا هُمُ الَّذِينَ رَحَلُوا فِي طَلَبِ
هَذِهِ الْأَثَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى سَنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذُوهَا مِنْ
مَعَادِنِهَا وَجَمَعُوهَا مِنْ مِظَانِهَا وَحَفِظُوهَا وَاعْتَبَطُوهَا بِهَا وَدَعَا إِلَى اتِّبَاعِهَا وَعَابُوا مِنْ

(١) (ضعيف) ضعفه الألباني في ظلال الجنة (٤٤).

خالفها وَكَثُرَتْ عَنْدهُمْ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى اشتهروا بِهَا كَمَا اشتهر الْبَرَّازُ بِبَزِهِ وَالتَّمَارُ بِتَمَرِهِ وَالْعُطَارُ بِعَطَرِهِ

ثُمَّ رَأَيْنَا أَقْوَامًا انسلخوا من حفظها ومعرفتها وتنكبوا اتِّبَاعَ أَصْحَافِهَا وَأَشْهَرِهَا وَطَعَنُوا فِيهَا وَفِي مَنْ أَخَذَ بِهَا وَزَهَدُوا النَّاسَ فِي جَمْعِهَا وَنَشَرُوا وَضَرَبُوا لَهَا وَلِأَهْلِهَا أَسْوَأَ الْأَمْثَالِ فَعَلِمْنَا بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا وَفِي جَمْعِهَا وَحِفْظِهَا وَاتِّبَاعِهَا أُولَى بِهَا وَأَحَقُّ مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ الَّذِينَ تَنَكَّبُوا أَكْثَرَهَا

وَهِيَ الَّتِي تَحْكُمُ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ بِالْأَهْوَاءِ لِأَنَّ الْإِتِّبَاعَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ هُوَ الْأَخْذُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي صَحَّتْ عَنْهُ عِنْدَ أَهْلِهَا وَنَقَلَتْهَا وَحِفَافَتُهَا وَالْخُضُوعُ لَهَا وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا تَقْلِيدٌ لِمَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِتَقْلِيدِهِ وَالْإِتِّمَارُ بِأَمْرِهِ وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ

وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ اسْتَبَدُّوا بِالْآرَاءِ وَالْمَعْقُولَاتِ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي هِيَ طَرِيقُ مَعْرِفَةِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ سِمَةُ ظَاهِرَةٍ وَعَلَامَةُ بَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَنِ بِاسْتِحْقَاقِهَا وَعَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي تَرْكِهَا وَالْعُدُولِ عَنْهَا بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا

وَلَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا إِلَى شَاهِدٍ أَبِينِ مِنْ هَذَا وَلَا إِلَى دَلِيلٍ أَضْوَأَ مِنْ هَذَا. اهـ

وهذا كلامٌ جميلٌ يُشَلِّحُ صدر كل سني سلفي سار على ما سار عليه سلفه الصالح.

الأصل الحادي عشر

الولاء والبراء^(١)

وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول أهل السنة والجماعة وهو أن يكون ولاؤك لله ورسوله وللمؤمنين السائرين على ما أمر الله به ورسوله ﷺ وسار عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتبرأ ممن خالف نهجهم أو سار بخلاف سيرهم.

قال العلامة الفوزان في محاضرة له:

« فَإِنَّهُ بَعْدَ مَحَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَجِبُ مَحَبَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَمَعَادَاةُ أَعْدَائِهِ.

فمن أصول العقيدة الإسلامية أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَدِينُ بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ أَنْ يُوَالِيَ أَهْلَهَا وَيُعَادِيَ أَعْدَاءَهَا فَيَحُبُّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَيُؤَيِّسُهُمْ، وَيُبْغِضُ أَهْلَ الْإِشْرَاقِ وَيُعَادِيهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، الَّذِينَ أُمِرْنَا بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

(١) وهذا الأصل خالفته فرق الغي والضلال ومنهم أصحاب الأحزاب قاطبة وأصحاب الجمعيات وكل الجماعات المخالفة لأهل السنة والجماعة، الذين تجد كل فرقة منهم تتعصب لجماعتها، فأقاموا الولاء لجماعاتهم وتبرأوا ممن عداهم وتبرموا من السنة وأهلها وعادوا أولياءها وهجروا علماءها، وبهذا الأصل تعرف الكثير ممن وقع في الحزبيات ومنهم جماعة العدني الذين تعصبوا له بالباطل فضاعوا وضيعوا أنفسهم وتخلفوا عن طريق سلفهم فضاعت جهودهم في الهواء، ومن رآهم عرف مدى ضياعهم.

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿١٥﴾ المائدة: ٤

وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ المائدة: ١٥

وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصاً وقال في تحريم موالاة الكفار

عموماً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿١٥﴾ المائدة: ١٥﴾. اهـ

وليس هذا فقط فيمن كفر أو أشرك، بل حتى فيمن كان على بدع أو ضلالات.

فلا بد على المسلم السني أن يحب ويوالي من كان على الثبات والسنة وأن يبغض

من كان على البدع والحزبيات والضلالات، كل بقدر بدعته وضلاله.

فيكون مبغضاً لأهل البدع والضلالات ولكن لا يكون كبغضه لليهود

والنصارى فكل بحسبه والموفق من وفقه الله لذلك.

ثم اعلم أنه لا يرتفع الدين ولا تعلو كلمة المسلمين حتى يعملوا بهذا الأصل

العظيم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر السنية في

الأجوبة النجدية (٨ / ١٤٩):

« فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاتة في الله؟ ولو كان الناس متفقيين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرق بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ». اهـ

قلت: وبالولاء والبراء تعرف الصالح من الطالح والسني من البدعي فتجد أهل البدع والحزبيات ولأئمتهم وبراءهم لأحزابهم وجماعتهم دون أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا رأيت من هكذا حاله فاحذره أشد الحذر وفرّ منه فرارك من الأسد فإنه يؤذيك بنتنّه، ويهلكك بمحبته لأن من أحبهم ووالاهم صار منهم **قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**

المائدة: ١٥

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

٦٨

فصل:

هل من خالف أصلاً واحداً صار مبتدعاً أم لابد من مخالفته لأكثر

من أصل؟

قال الشيخ سعيد بن دعاس رحمته الله (١):

«متى يحكم على الرجل بالبدعة».

يحكم على الرجل بالبدعة، إذا خالف أصلاً من أصول الدين، أو أغرق في الجزئيات، فقد حقق ذلك الإمام الشاطبي في "الاعتصام" فكفى وشفى، فإنه قال (٢/٢٠٠) ط دار المعرفة: الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً».

اهـ

وقال رحمته الله في كتابه ضوابط الحكم بالابتداع (ص ١٣):

«واعلم أن القدر الموجب للابتداع، والمصير في عداد أهل البدع والضلال تعمّد مخالفة أصل واحد من أصول الشريعة وقواعدها، ولا يُشترط تعدّد الأصول، كما نصّ عليه أبو إسحاق الشاطبي في "الاعتصام" (١/٤٧٨).

(١) من رسالته الماتعة: "البرهان المنقول على ما خالفه عبد الرحمن العدني وحزبه من الأصول (ص ٦)" وفيها كلام سديد يشفي علة من مرض في فتنة العدني، ويأخذ بيد من تردى حاله في الوقوف مع من وقف في هذه الفتنة ونسأل الله الثبات.

ولذا قَالَ العلامةُ الشُّوكَانِيُّ فِي "أَدَبِ الطَّلَبِ" (ص/٤٢): « فَإِنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ لَمْ يُنْكِرُوا جَمِيعَ السَّنَةِ، وَلَا عَادُوا جَمِيعَ كُتُبِهَا الْمَوْضُوعَةِ لَجْمَعِهَا، بَلْ -حَقٌّ عَلَيْهِمْ اسْمُ الْبِدْعَةِ عِنْدَ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، بِمُخَالَفَةِ بَعْضِ مَسَائِلِ الشَّرْعِ!!- ». اهـ

وذكرَ العلامةُ الفَوَزَانُ فِي "الأجوبة المفيدة" (ص/٣٥): « أَنَّ مَنْ خَالَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ فِي مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، أَوْ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ، يَخْرُجُ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَإِنْ وَافَقَ فِي بَاقِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَيَدْخُلُ فِي وَعِيدٍ: « كَلِّهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ». وَإِنْ كَانَتْ مُخَالَفَةً فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ ». اهـ

وَنَقَلَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الْلطِيفِ آلَ الشَّيْخِ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ كَمَا فِي "الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ" (١٧/٣٥٢): « وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيَّانِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ -قَوْلٌ، أَوْ فِعْلٌ!!-، يَقْتَضِي كُفْرَهُ، أَوْ شُرْكَهُ، أَوْ فِسْقَهُ، -أَنَّهُ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ!!-... وهذا لا يخفى على صغار الطلبة ». اهـ

ودليلُ هذا الأصلِ الشرعي ما جاء في عِدَّةِ أدلَّةٍ أفادت أَنَّ الانحرافَ والهلكةَ قد تَبَيَّنَتْ بِقَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ وَاحِدٍ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾. وَحِينَ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: مَا نَرَى قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَسْمَنَ بَطُونًا، وَأَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَأَجِبَنَ عِنْدَ الْلِقَاءِ. أَنْزَلَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ

لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١٦﴾.

ولمَّا اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بحضرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيمن يجعل على بني تميم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

وقال ابن أبي مليكة: كاذ الخيران أن يهلكا، رفعاً أصواتهما عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم. أخرجه البخاري

ولمَّا قَالَ الْمُجْتَهِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْعِبَادَةِ لِلْمُذْنِبِ بَعْدَ تَكَرُّارِ نُصْحِهِ: « وَاللَّهِ
لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، قَبَضَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمَا، فَقَالَ لِلْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي
عَالِماً، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا. وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.
وَقَالَ لِلْآخِرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. »

رواه أبو داود، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الوادعي برقم (١٣٠٢).

وجاء في البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم رقم (٧٤٠٧)، من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما
يتبين فيها، يهوى بها في النار سبعين خريفاً ». وأدلة المسألة كثيرة.

وكان السلف **رضوان الله عليهم** سائرين على ذلك، كما جاء عن عبدالله بن عمر **رضي الله عنهما** لما أخبر بمن يقول: الأمر أنف. فقال: «أخبروهم أنني بريء منهم، وأنهم مني براء». أخرجه مسلم برقم (١).

وهذا الإمام أحمد، كما قال ابن عدي في "الكامل" (٤٣٢/٢): سمعت محمد بن عبدالله الشافعي يخاطب المتعلمين، وقال في الكرابيسي: تكلم فيه أحمد في باب مسألة اللفظ - فسقط! -.

ومن طريق ابن عدي أخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (٦٦/٨-٦٧). قال الخطيب في "تاريخه" (٦٤/٨): وحديث الكرابيسي - يعز جداً، وذلك أن الإمام أحمد كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وكان هو - أيضاً - يتكلم فيه، فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب. اهـ

وبدعه الإمام أحمد، وحذر منه لذلك، كما ذكره ابن عدي في "الكامل" (٢٤١/٢)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (٦٥/٨-٦٦).

وكذا سلك الإمام أحمد وخلق من أهل الحديث تجاه داود بن علي الأصبغاني، فقد روى الخطيب في "تاريخ بغداد" (٣٧٣-٣٧٤/٨) بإسناد صحيح إلى أبي زرعة، أن داود بن علي قدم بغداد بعد أحدث مسألة حدوث القرآن - بنيسابور - وذكر استئذانه في الدخول على الإمام أحمد، فقال أحمد: هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره، زعم أن القرآن محدث، فلا يقربني.

قال الذهبي في "السِّير" (١٣/١٠١): قام على داود خلق من أهل الحديث، أنكروا قوله وبدَّعوه. اهـ

وقد تكلم المحدثون، وأئمة السُّنة في عددٍ من أهل الحديث الثقات الأثبات، ورواة الحديث ممن عُرف بالسُّنة، لكلمات قالوها، تستلزم الباطل وتَحتمله، فأخذوا كل واحدٍ منهم بلازم قوله في قضية واحدة، فبدَّعوه، وحذَّروا منهم، وإن كان لبعضهم فيما قال وجهٌ صحيح كان هو مقصوده، ولكن المقصودُ توضيحُ اكتفاء أهل العلم من السلف في تبديع المخالف بمخالفة أصل واحد. اهـ

فصل

في وجوب تضليل المخالف للأصول والبراءة منه وهتك ستره:
قال الشيخ سعيد بن دعاس رحمته الله في كتابه البديع ضوابط الحكم بالابتداع (ص ٣٦):

« قال الإمام أبو المظفر السَّمعاني في "قواطع الأدلة" (١٣/٥): « كل ما كان من أصول الدين، فالأدلة عليه ظاهرة، والمُخالف فيه مكابراً، -والقول بتضليله واجب؟!، والبراءة منه شرعٌ!! - ». اهـ...

قال شيخ الإسلام في رسالة "الغيبة"، كما في "مجموعة الرسائل" (٢/٢٨٠):
« فإذا كان أقوامٌ منافقون يبتدعون بدعاً تُخالف الكتاب، ويُلبسونها على الناس، - ولم تُبين للناس!! -، فسَدَ أمرُ الكتاب، وبُدِّلَ الدين، كما فسَدَ دينُ أهل الكتابِ

قبلنا، بما وقع فيه من التبديل، الذي لم يُنكرْ على أهله، وإذا أقوامٌ ليسوا منافقين، -
لكنهم سَمَّاعُونَ لِلْمُنافِقِينَ؟! -، قد التبسَ عليهم أمرهم، حتى ظنُّوا قولهم حقاً،
وهو مخالفٌ للكتاب، وصاروا دعاءً إلى بدعِ المنافقين، - فلا بدُّ - أيضاً - من بيانِ
حالِ هؤلاء؟! -، بل الفتنة بحالِ هؤلاءِ أعظمُ، فإنَّ فيهم إيماناً يوجبُ موالاتهم،
وقد دخلوا في بدعٍ من بدعِ المنافقين، التي تُفسدُ الدينَ، فلا بدُّ من التحذيرِ من
تلك البدع، وإن اقتضى ذلك - ذكرهم وتعيينهم!! -، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك
البدعة عن مُنافقٍ، لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خيرٌ، وأنها دينٌ، ولم يكن
كذلك - لوجبَ بيانُ حالها!!! -، ولهذا - وجبَ بيانُ حالِ من يغلطُ في الحديثِ
والرواية، ومن يغلطُ في الرَّأيِ والفتيا؟! - . اهـ

فهذا هو منهجُ الحقِّ، وطريقُ السلفِ، وسبيلُ أهلِ الحقِّ تجاهَ من خالفَ أصلاً،
أو أصولاً من أصولِ الشريعةِ، وخرجَ عن الحقِّ، وتمادى في وعاندٍ، لما في ذلك من
المصلحةِ العظيمةِ في حفظِ الشريعةِ، والذبِّ عن أصولها.

بل لما فيه من مصلحةِ المحذَرِ منه، والموضحِ حاله، من قلةِ الأوزارِ، لأنَّ
التَّحذِيرَ منه، وتبيينَ حاله، يُقلِّلُ من أتباعه، فتخفُّ أوزارُهُ.

ولذا قال يوسف بن أسباط، لما قيلَ له: تتكلَّمُ في النَّاسِ، قال: أنا خيرٌ لهؤلاءِ
من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى النَّاسَ عن اتِّباعهم.

وقد ذكر العلامة البقاعي في "مصرع التصوف" (ص/٢٦٧) « أن بيان حال أهل الباطل، وكشف أستارهم، إمّا لنفع الدين، أو للمسلمين، أو صاحب الباطل نفسه .»

ويا لله كم تجاهل هذا الأصل الشرعي وأهمله من ناس، واستبدلوه بالطرق الخلفيّة التي يطول بسطها، كـ (لا تترك الرجل حتى يتركنا)، و (لا أحكم حتى أقف بنفسي-)، و (لا بدّ من حكم ثالث)، و (لا يقبل الجرح المفسر- حتى يقبله فلان وفلان)، وغير ذلك من الطرق الخلفيّة التي يلهج بها أصحابها لقصد التملص عن إحقاق الحق، والمرواغة في التزامه، ويلهجون بالسلفيّة، وهم عن العمل بأصولها وثوابتها بمعزل، فلا بالحق أخذوا، ولا له نصروا، ولا للباطل تركوا، ولا له كسروا، ولا من يُحامون عنه وأنفسهم نفَعوا، بل بهم تزدادُ الفتنة تفاقمًا، ويزدادُ بمواقفهم الخرق اتّساعًا، وهذه هي نتائج الإخلال والتقصير في التزام منهج الشريعة المطهرة وثوابتها المشتملة على المقاصد العظيمة، ذات المصالح الدينيّة، كـ (امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة) .» اه كلامه **رحم الله**

فائدة^{٢٠} عزيزة:

يظن كثير من الناس أن المسلمين كلهم على درجة واحدة من الدين وهذا جهل شديد.

ولعل هؤلاء يجهلون حديث الافتراق الذي يبين فيه النبي ﷺ افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها فرقة واحد وقد تقدم ذكره.

وتأمل هذا الكلام الطيب الذي سنورده للسفاري في رَحِمَهُ اللهُ، وقف عنده، وافهم ما فيه فإن فيه سيلاً غزيراً من الفوائد لمن تدبر هذا الكلام الجميل.

قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١ / ٢٦٨):

« قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَيَجِبُ هَجْرُ مَنْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ بِيَدَعَةٍ أَوْ دَعَا إِلَى بِيَدَعَةٍ مُضِلَّةٍ أَوْ مُفْسِقَةٍ عَلَى مَنْ عَجَزَ عَنِ الرَّدِّ عَلَيْهِ أَوْ خَافَ الْإِغْتِرَارَ بِهِ وَالتَّأْذِي دُونَ غَيْرِهِ.

فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ مَتَى كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ لَا يَجِبُ هَجْرُهُ بَلْ عَلَيْهِ رَدُّ قَوْلِهِ كَمَا فِي كَلَامِ النَّازِمِ فَيَرُدُّهُ (وَيَدْفَعُ) بِالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَةِ شُبْهَتُهُ إِنْ كَانَ لَهُ شُبْهَةٌ أَوْ بَسِيفِ الشَّرِّ (إِضْرَارَ الْمُضِلِّ) لِلنَّاسِ الدَّاعِي هُمْ لِلْهَلَكَةِ وَالْيَأْسِ (بِمَذُودٍ) قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْمَذُودُ كَمَنْبَرِ اللِّسَانِ. وَأَصْلُ الذُّودِ السَّوْقُ وَالطَّرْدُ وَالِدَفْعُ كَالذِّيَادِ وَهُوَ ذَائِدٌ.

وَقَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي آدَابِهِ: وَقِيلَ يَجِبُ هَجْرُهُ مُطْلَقًا وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَقَطَعَ ابْنُ عَقِيلٍ بِهِ فِي مُعْتَقَدِهِ قَالَ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَسْرًا لَهُ وَاسْتِصْلَاحًا وَقَالَ أَيْضًا يَعْنِي ابْنُ عَقِيلٍ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ، فَلَا تَنْظُرْ إِلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ بِ (لَبَّيْكَ)، وَإِنَّمَا

أَنْظُرْ إِلَى مُوَاطَّاتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ. عَاشَ ابْنُ الرَّائِدِيِّ وَالْمُرِّي - عَلَيْهِمَا مَا
يُسْتَحَقَّانِ - يَنْظِمَانِ وَيَنْثَرَانِ هَذَا يَقُولُ حَدِيثُ خُرَافَةٍ. وَالْمَعَرِّي يَقُولُ:

تَلَوْا بِاطِلًا وَجَلَّوْا صَارِمًا وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ
يَعْنِي بِالْبَاطِلِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعُظِّمَتْ قُبُورُهُمْ وَاشْتَرِيَتْ تَصَانِفُهُمْ،
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ " وَهَذَا الْمَعْنَى قَالَهُ أَيْضًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ
تَيْمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: وَهَجَرَانِ أَهْلُ الْبِدْعِ كَافِرُهُمْ وَفَاسِقُهُمْ،
وَالْمُتَظَاهِرُ بِالْمَعَاصِي، وَتَرَكَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ فَرَضُ كِفَايَةٍ، وَمَكْرُوهٌ لِسَائِرِ النَّاسِ.

(وَلَا) يَتَأَتَّى (هَجَرٌ) وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْ شَخْصٍ (مَعَ تَسْلِيمِهِ) أَيُّ تَسْلِيمِ الْهَاجِرِ عَلَى
الْمُبْتَدِعِ (الْمُتَعَوِّدِ) أَيُّ الْمُتَعَادِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَضْرِمَ كَلَامَهُ وَيَتْرَكَ سَلَامَهُ فَلَا يَبْدَأُهُ
بِالسَّلَامِ، وَإِنْ بَدَأَهُ الْمُبْتَدِعُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا احْتِشَامَ، فَإِنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ أَوَّلَى، وَامْتِثَالَ
الشَّرِيعَةِ أَحَقُّ وَأَعْلَى. فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَاجِرًا، وَلَا عَنْ مَوَدَّتِهِ وَصُحْبَتِهِ
نَافِرًا.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا سَلَّمَ الرَّجُلُ عَلَى الْمُبْتَدِعِ فَهُوَ مُجِبُّهُ، قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَنْفُسَا السَّلَامِ
بَيْنَكُمْ »^(١). اهـ

وهذا الكلام لا مزيد عليه لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

رابعاً: فيما يمتاز به السلفيون أهل السنة والجماعة:

« من خصائص أهل السنة والجماعة ما يلي^(١) :

(١) الالتزام بالكتاب وصحيح السنة في كل مسألة من مسائل العقيدة، وعدم رد شيء منهما أو تحريفه أو تأويله. وتقديمها على العقل.

فالمصدر الوحيد للعقيدة - عندهم - إنما هو كتاب الله وما صح من السنة، سواء كان متواتراً أو آحاداً. وما سواهما إن وافقهما أخذوا به مؤيداً، وإن خالفهما أو أحدهما ردوه على قائله كائناً من كان.

ذلك أن العقيدة الإسلامية غيبية، فكل مصدر سوى الكتاب والسنة يمكن أن يخطئ ويصيب، بخلاف الكتاب والسنة.

(٢) التمسك بالإسلام المحض الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه

وسلم وحفظه عنه أصحابه رضي الله عنه؛ إذ هم المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، وسبيل أصحابه من بعده.

قال شيخ الإسلام: (وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام المحض، وهو ما في كتاب الله تعالى، وهو "السنة والجماعة"؛ فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه من وجوه متعددة.. أنه قال:

(١) مأخوذة بنصها من مجلة البحوث الإسلامية (٧٢ / ١٥٨) الصادرة من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

« ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي رواية: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » انظر: الفتاوى (ج ٣ ص ٣٦٩، ٣٧٠..)

(٣) عدم الابتداع في الدين، بل والتحذير من البدع وأهلها، وإبعادهم والتباعد منهم ومن مصابحتهم أو مجالستهم أو مجادلتهم أو عرض شبههم، إلا على سبيل التفنيذ لها من عالم قادر؛ ذلك أن مجالستهم أو مجادلتهم أو عرض شبههم قد تكون سبباً لاستحسان شيء من أقوالهم أو أفعالهم؛ ومن ثم الوقوع فيما وقعوا فيه من البدع

(٤) ليس لهم إمام يأخذون كلامه كله إلا رسول الله صلى الله عليه

وسلم، أما ما سواه فيؤخذ من كلامه ما وافق الكتاب والسنة ويترك ما خالفهما أو أحدهما.

قال شيخ الإسلام: (فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) الفتاوى (ج ٣ ص ٣٤٦، ٣٤٧..)

وقال أيضا: (...) وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفتاوى (ج ٣ ص ٣٤٧..)

وقال اللالكائي: (ثم كل من اعتقد مذهبا فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث؛ فإن صاحب مقالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون..) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٢٣، ٢٤..)

٥) أنهم أعلم الناس بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله،
لذلك كانوا أشد الناس حبا للسنة وأحرصهم على اتباعها، وموالاته من والاه،
ومعاداة من عاداها.

قال شيخ الإسلام وهو يتكلم عن أهل السنة: (...) وهم أعلم الناس بأقواله صلى الله عليه وسلم وأحواله، وأعظمهم تميزا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها... وموالاته لمن والاه، ومعاداة لمن عاداها... (الفتاوى (ج ٣ ص ٣٤٧..)

٦) اتفاقهم في أمور العقيدة رغم اختلاف الزمان والمكان.

يصف قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني هذا الأمر فيقول: (ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة.. قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار.. وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقا في شيء ما، وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (ج ٢ ص ٢٢٤)

٧) الواسطية: وهي الاعتدال بين الإفراط والتفريط، فلم يغفلوا ولم

يقصروا في أي مسألة من مسائل الدين، وذلك لاعتصامهم بالكتاب والسنة واتباعهم طرق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

قال شيخ الإسلام - بعد أن بين أن ملة الإسلام وسط بين المثل، قال: (...)

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق (الفتاوى (ج ٣ ص ٣٧٣..)

وقال أيضا: (... وكذلك في سائر "أبواب السنة" هم وسط؛ لأنهم متمسكون

بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الأولون من

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) الفتاوى (ج ٣ ص ٣٧٥..)

٨) لا يكفر بعضهم بعضا لعدم وجود ما يوجب ذلك؛ إذ الحق

يجمعهم ومصدر عقيدتهم الكتاب وصحيح السنة وليس فيها تناقض حتى يحصل الاختلاف المؤدي إلى التكفير.

أضف إلى ذلك أنهم القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله بخلاف من سواهم من المبتدعة الذين يكثر فيهم الاختلاف المؤدي إلى التكفير؛ لأن مصدر العقيدة عندهم ليس محصوراً في الكتاب والسنة.

قال البغدادي: « أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضاً، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير، فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تناقض وتناقض، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض، وتبري بعضهم من بعض كالخوارج، والروافض، والقدرية، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً» الفرق بين الفرق (ص ٣١٢..)

(٩) أنهم لا يتسمون بغير الإسلام والسنة والجماعة.

نقل القاضي عياض عن الإمام مالك، قال: (وسأل رجل مالكا: من أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا رافضي ولا قدري) ترتيب المدارك (ج ١ ص ١٧٢..)

وقال ابن القيم: وقد سئل بعض الأئمة عن السنة، فقال: ما لا اسم له سوى (السنة). يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها (مدارج السالكين ج ٣ ص ١٧٦).

وقد يتسمون بأسماء أخرى لكن يراد بها أهل السنة، إما باسم مرادف لأهل السنة كأن يقول، من أهل الحديث، من الجماعة، ونحو ذلك. أو باسم علم من أعلام أهل السنة المشهورين، وذلك كناية عن التزامه بالسنة، مثل أن يقول: من أصحاب الإمام أحمد، أو قائل بما قال الإمام أحمد ونحو ذلك.

(١٠) أنهم الغرباء حين يفسد الناس.

لأنهم فرقة بين فرق كثيرة، قال **صلى الله عليه وسلم:** «بدأ الإسلام غربا وسيعود غربا كما بدأ، فطوبى للغرباء». وفي رواية: مسند أحمد بن حنبل.

«فطوبى يومئذ للغرباء إذ افسد الناس...» الحديث. وفي رواية لابن وهب: قال **عليه الصلاة والسلام:** «طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفئ». وفي رواية: مسند أحمد بن حنبل «طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وقال سفيان الثوري: (استوصوا بأهل السنة خيرا؛ فإنهم غرباء) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٦٤).

(١١) أنهم الفرقة الناجية التي تنجو من عذاب الله يوم القيامة

والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

قال **صلى الله عليه وسلم**: « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي » وهذه الصفة إنما تنطبق على أهل السنة، فهي الفرقة الوحيدة التي التزمت بما كان عليه الرسول **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه. قال الإمام أحمد بعد أن ذكر حديث الافتراق: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم) شرح صحيح مسلم (ج ١٣ ص ٦٧..)

وقال **صلى الله عليه وسلم**: « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ».

قال شيخ الإسلام: ... وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي **صلى الله عليه وسلم**: لا تزال طائفة من أمتي ... الحديث الفتاوى (ج ٣ ص ١٥٩..)

(١٢) تعظيم الأمة لهم، ويظهر ذلك بمحبتهم في الحياة والحزن عليهم بعد

الوفاة.

قال **سفيان الثوري**: (إذا بلغك عن رجل بالمشرك صاحب سنة، وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة!) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٦٤..)

وقال أيوب السخيتاني: (إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأنني أفقد بعض أعضائي) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٦٠).

وقال شيخ الإسلام: (فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض، فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيماً أعظم مما عظموا به.

ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم، حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك كما قال الإمام أحمد: (آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز).

فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفة، فأما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق، ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازة الإمام أحمد، مسح المتوكل موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستائة ألف سوى من صلى في الحانات والبيوت... وهو إنما نبّل عند الأمة باتباع الحديث والسنة، وكذلك الشافعي وإسحاق وغيرهما، وإنما نبّلوا في الإسلام باتباع الحديث والسنة) الفتاوى (ج ٤ ص ١٠، ١١).

من كلام شيخ الإسلام اتضح أن التقدير العادل من الأمة للعلماء بقدر موافقتهم للسنة؛ ولذلك نال أهل السنة أكبر تقدير بسبب موافقتهم لها.

(١٣) الاستمرارية: أي أن أهل السنة والجماعة مستمر وجودها من لدن

الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية: ١٠٠.

ففي قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ إشارة إلى تاريخ بدء هذه الجماعة

وفي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ إشارة إلى استمرارية هذا الوجود وأن قوام هذا الاستمرار هو الاتباع.

وقال صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا

يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ».

ففي قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال دلالة واضحة على صفة الاستمرارية

لأهل السنة.

وقال شيخ الإسلام: (لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدع

يموتون ويموت ذكرهم) الفتاوى (ج ٢٨ ص ٣٨).

وقال اللالكائي: (ولم يزل من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا

هذا قوم يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها، وإنما هلك من حاد عن هذه الطريقة

لجهله طرق الاتباع) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٢٧).

(١٤) ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء،

وذلك لما لديهم من اليقين بأن ما هم عليه هو الحق. كما أنهم أعظم الناس صبرا على أقوالهم ومعتقداتهم؛ لأنها حق والحق إذا خالطت بشاشته القلوب لا تسخطه، ومن الأدلة على ذلك موقف الإمام أحمد من المعتزلة القائلين بخلق القرآن، فلقد عذب بأنواع العذاب ليرجع عن السنة ويوافقهم على البدعة فما رجع، ومثله شيخ الإسلام ابن تيمية عذب وسجن وغرب فما رجع عن السنة ومحاربة البدعة وغيرهما الكثير.

قال شيخ الإسلام: (...) وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرا على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن.. وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة، **حتى كان مالك رحمه الله يقول:** لا تغبطوا أحدا لم يصبه في هذا الأمر بلاء.. ومن صبر من أهل الأهواء على قوله فذلك لما فيه من الحق؛ إذ لا بد في كل بدعة - عليها طائفة كبيرة - من الحق الذي جاء به الرسول **صلى الله عليه وسلم**... ما يوجب قبولها؛ إذ الباطل المحض لا يقبل بحال. وبالجملة فالثبات والاستقرار عند أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف مما هو عند أهل الكلام والفلسفة... (الفتاوى (ج ٤ ص ٥٠، ٥١..))

(١٥) تورعهم في الفتوى اقتداء بالصحابة وإيثارا للسلامة، وخوفا من القول على الله بلا علم.

قال ابن رجب رحمه الله: (ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارة إليها والإكثار منها).

قال علقمة: (كانوا يقولون: أجرؤكم على فتيا أفلكم علما).

وعن ابن أبي ليلى قال: (أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ود أن أخاه كفاه... وسئل عمر بن عبد العزيز عن مسألة فقال: ما أنا على الفتيا بجريء).

(١٦) الأمانة العلمية.

ومن مظاهر ذلك أمانتهم في النقل ابتداء من الكتاب والسنة وانتهاء بأقوال العلماء؛ وذلك لما يلي:

١ - شدة ورعهم وخوفهم من الله، فلا يتجرؤون على شيء من ذلك خوفا من الله ورجاء له.

٢ - أنه لا حاجة تضطرهم إلى شيء من ذلك.

وبيان ذلك: أن الكتاب والسنة مصدر عقيدتهم، فهم حريصون على وصوله إلى المجتمع المسلم بدون زيادة أو نقص لتصل العقيدة الإسلامية سليمة، وأما أقوال

العلماء فإن وافقت الكتاب والسنة أخذوا بها مؤيدة، وإن خالفت ردوها على قائلها كائنا من كان. وإن كان فيها حق وباطل أخذوا بالحق وردوا الباطل بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، ولم يحتاجوا في كل الحالات الثلاث إلى زيادة أو نقص، لما ذكرت نراهم في القمة في هذه الصفة.

أما المبتدعة فلكون بدعهم استنبطوها من أدلة عقلية، أو من أقوال أئمتهم، فلا بد أن يوجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء ما يخالفها، فيحتاجون إلى التحريف وإلى الزيادة والنقص، فنراهم في الكتاب يحرفون لفظه أو معناه. وإذا لم يستطيعوا قالوا: متشابه. وبذلك تخلصوا من دلالته.

وأما السنة فإن وافقت أهواءهم أخذوا بها، وإن خالفت حرفوا فيها، وإذا لم يستطيعوا طعنوا في صحتها.

أما ما سواهما من أقوال الأئمة فيأخذون ما يوافق أهواءهم، وإن لم توافق زادوا فيها ونقصوا لتؤيد بدعهم، وإذا لم يستطيعوا تركوها، وبذلك قلت الأمانة العلمية عندهم.

يقول ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم).

(١٧) ترك الخصام والجدال والمراء في الدين ومجانبة أهله.

ذلك أنه مدعاة للفرقة واتباع الهوى والقول على الله بغير علم.

أخرج اللالكائي بسنده عن **عمرو بن قيس قال**: (قلت للحكم، يعني ابن عتبة: ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ قال: الخصومات) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ١٢٨..)

وقال ابن رجب: (ومما أنكر أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أحدث ذلك بعدهم.. وقد أنكر ذلك السلف...) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص ٣١، ٣٢)

وقال الإمام الطحاوي: (... ولا نماري في دين الله...) شرح الطحاوية

ص ٣٥١

وقال الآجري - بعد أن ذكر بعض الأدلة في النهي عن الجدال والخصام في الدين - **قال**: لما سمع هذا أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يتهاروا في الدين.. وحذروا المسلمين المراء والجدال... وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله عز وجل الشريعة للآجري (ص ٥٥، ٥٦..)

(١٨) أنهم خيار الأمة الذين يدعون إلى إحياء السنة وإماتة

البدعة. يقول الفضيل بن عياض: (أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ١٣٨..)
 وقال أيضا: (إن لله عبادا يحيي بهم البلاد وهم أصحاب السنة...) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٦٥..)

وقيل لأبي بكر بن عياش: من السني؟ قال: "الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها" شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص ٦٥..)
 ولو نظرنا إلى المجددين في تاريخ الإسلام الذين دعوا إلى إحياء السنة وإماتة البدع لوجدنا أنهم من أهل السنة؛ كعمر بن عبد العزيز والأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أهل العلم والإيمان..

(١٩) محبتهم للسلف الصالح وتعظيمهم لهم، والافتداء بهديهم

؛ إذ يرون أن طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم وهذا إضافة إلى أنه خصيصة فإنه من الدلائل الظاهرة التي تميزهم عن غيرهم من المبتدعة.

قال الإمام الصابوني: (أخبرنا الحاكم أبو عبد الله، حدثنا محمد بن إبراهيم المزكي، حدثنا أحمد بن سلمة قال: قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس

والأوزاعي وشعبة، وابن المبارك... فاعلم أنه صاحب سنة... عقيدة السلف ص

.. ١٠٩

وقال الإمام الطحاوي: (... وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من

التابعين... لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

(٢٠) أن أهل الصلاح والاستقامة والمجاهدين في سبيل الله في أهل السنة

أكثر من غيرهم.

قال اللالكائي: (وهم أصحاب الجمعات والجماعات والمساجد، والحج

والجهاد، وبأذلو المعروف.. وحماة الثغور والقناطر الذين جاهدوا في الله حق

جهاده واتبعوا رسوله على منهاجه..) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج ١ ص

(.. ٢٥)

(٢١) الجمع بين العلم والعبادة، وبين التوكل على الله والأخذ بالأسباب،

وبين التوسع في الدنيا والزهد فيها، وبين الخوف والمحبة والرجاء، وبين

الرحمة والشدّة، وبين العقل والعاطفة.

فلم ينشغلوا بالعلم عن العبادة كحال المتكلمين ونحوهم، أو بالعبادة عن

العلم كحال الصوفية، ولم يركنوا إلى الأسباب ويتركوا التوكل على الله؛ إذ هو

شرك، أو يتركوا الأخذ بالأسباب ظناً منهم أنها تنافي التوكل كحال بعض الفرق

كالصوفية؛ إذ هو مناف للشرع». اهـ

فصل:

فيمن يدعي أن عقيدته سلفية وهو ينتسب لجماعات وأحزاب:

سئل العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: هناك شخص يقول: أنا عقيدتي سلفية، وهو يدعو إلى طائفة فيها بعض الشبهات والإهمال للسنة، فما رأيكم في هذا الشخص؟

فأجاب: « في الواقع أنني استغربته جداً؛ لأنني لم أتصور وجوده في واقع حياتنا اليوم، أن تتصور رجلاً سلفياً عقيدةً ومذهباً، ثم هو يدعو إلى مذهب آخر، كيف تتصور ذلك؟ السائل: هذا الرجل يرى أن الجماعة التي يدعو إليها تنتمي إلى الإسلام ظاهراً، ولكن فيها شيء من إهمال السنة، وفيها بعض التشويش، وهو إنما يدعو مع هذه الجماعة؛ لأن لها مكانة في الدولة، فيستطيع من خلال انضمامه إلى هذه الجماعة أن يدعو إلى الله بقوة دون أي خوف، وعقيدته كما هي سلفية، وإنما ينتمي ظاهراً إلى هذه الدعوة.

الشيخ: الآن ظهرت المسألة، بينما من قبل كان فيها شيء من الغموض، الآن نورد سؤالاً توضيحياً: هل هذا السلفي حينما يدعو إلى تلك الجماعة في تلك الجماعة ما يخالف السلفية في اعتقادهم؟ السائل: الجماعة فيها بعض الشبهات.

الشيخ: أنا لا أتكلم في الشبهات، أنا قلت: في تلك الجماعة التي يدعو هذا السلفي إليها، أيعتقد أن في تلك الدعوة ما يخالف دعوته؟ أي: الدعوة السلفية.

السائل: نعم.

الشيخ: إن كان الأمر كذلك فهذا ليس سلفياً؛ لأن السلفية مثل الإيمان قابلة للزيادة والنقصان؛ لأنه كما شرحنا آنفاً أن السلفية فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً على منهج السلف الصالح، لكن لا نفهم هل هو شيء محدود لا يقبل الزيادة والنقصان؟ لا.

ثم بعد أن يفهم المسلم الدعوة الصحيحة للدعوة السلفية فهماً صحيحاً بقدر الإمكان، هل يطبقه كل سلفي مائة في المائة أم بنسبة متفاوتة؟ بنسبة متفاوتة، فإذا كان هناك رجل سلفي ثم هو يدعو إلى جماعة أخرى، في أفكارها وفي دعوتها ما يخالف الدعوة السلفية، فهو كالذي يجمع بين نقيضين في أمر واحد، لكن هذا ينكر عليه؛ لأنني أعتقد أن هذا السلفي لا يعلم أن في تلك الجماعة ما يخالف الدعوة السلفية، فإذا علم وبين له، ففي اعتقادي أنه بعد ذلك لا يستطيع أن يتبنى تلك الدعوة إطلاقاً، كل ما يمكن أن يفعله أن يخالفهم، وأن يعاشرهم ويبث الدعوة السلفية بينهم، لا أن يتبنى هو دعوتهم، ويلتزمها كما يلتزم الدعوة السلفية.

خلاصة القول: لا يمكن الجمع بين الدعوة السلفية وغيرها من الدعوات بالكلية؛ لأن في تلك الدعوات أشياء تخالف الدعوة السلفية قطعاً. اهـ

إذا علمت هذا فاعمل به واترك ما نصحنك بتركه في النصيحة التالية.



النصيحة الثامنة عشرترك الجدال بالباطل

فإن أكثر ما أهلك الناس من قديم وحديث إنما هو جدالهم بالباطل، لما رواه الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ » ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ مَا صَرَبُوا لَهُ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [صحيح الترغيب (١٤١)]

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٨ / ١٣٨):

« قيل: الجدل: مقابلة الحجة بالحجة.

وقيل: جدل الفرد في الخصام.

وكانت العرب تتفاخر بذلك أنه من فصاحة اللسان وقوة العارضة، وحضور

النفس، وحدة الذهن، قال الله تعالى في قريش: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ قال: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ ٩٧... اهـ

قال الملا علي القاري رحمته الله في مرقاة المفاتيح (١ / ٢٦٥):

« (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ) أَي: عَلَى الْهُدَى (إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ) أَي: أُعْطُوهُ وَهُوَ حَالٌ، وَقَدَّمَ مَقْدِرَةً وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ أَعَمُّ الْأَحْوَالِ، وَصَاحِبُهَا الضَّمِيرُ

المُسْتَرْتِرُ فِي خَيْرٍ "كَانَ" ، وَالْمَعْنَى مَا كَانَ ضَلَاكُتْهُمْ وَوُقُوعُهُمْ فِي الْكُفْرِ إِلَّا بِسَبَبِ
الْجِدَالِ وَهُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ مَعَ نَبِيِّهِمْ، وَطَلَبُ الْمُعْجَزَةِ مِنْهُ عِنَادًا أَوْ جُحُودًا،
وَقِيلَ: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ هُنَا الْعِنَادُ، وَالْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ ضَرْبُ بَعْضِهِ
بِبَعْضٍ لِتَرْوِيجِ مَذَاهِبِهِمْ وَآرَاءِ مَشَائِخِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نُصْرَةٌ عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ،
وَذَلِكَ مُحَرَّمٌ لَا الْمُنَاطَرَةَ لِعَرَضٍ صَحِيحٍ كَأَظْهَارِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ فَرُضَ كِفَايَةٍ (ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ) أَيِ: اسْتِشْهَادُ عَلَى مَا قَرَّرَهُ (مَا ضَرْبُهُ) أَيِ: هَذَا
الْمَثَلُ (لَكَ): يَا مُحَمَّدُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: أَهْتُنَّا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ أَرَادُوا بِالْآلِهَةِ هُنَا الْمَلَائِكَةَ يَعْنِي:
الْمَلَائِكَةُ خَيْرٌ أَمْ عِيسَى؟ يُرِيدُونَ أَنْ الْمَلَائِكَةُ خَيْرٌ مِنْ عِيسَى، فَإِذَا عَبَدَتِ النَّصَارَى
عِيسَى فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ أَيِ: مَا قَالُوا ذَلِكَ الْقَوْلَ ﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]
أَيِ إِلَّا لِخَاصَمَتِكَ وَإِيذَائِكَ بِالْبَاطِلِ لَا لَطَلَبِ الْحَقِّ كَذَا قَالَهُ بَعْضُ الشُّرَاحِ،
وَالْأَصَحُّ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ ابْنَ الزَّبْعَرِيِّ جَادَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ أَهْتُنَّا أَيِ
الْأَصْنَامُ خَيْرٌ عِنْدَكَ أَمْ عِيسَى؟ فَإِنْ كَانَ فِي النَّارِ فَلْتَكُنْ أَهْتُنَّا مَعَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ رَأَيْتُ ابْنَ حَجَرَ ذَكَرَ مِثْلَ مَا ذَكَرْتُهُ، وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فَأَوَّلًا: أَنَّ
(مَا) لِغَيْرِ ذَوِي الْعُقُولِ، فَالِإِشْكَالُ نَشَأَ عَنِ الْجَهْلِ بِالْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَثَانِيًا: أَنَّ
عِيسَى وَالْمَلَائِكَةَ خُصُّوا عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَرَاتَا

الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ ﴿بَلْ هُمْ﴾: أَيِ الْكُفَّارِ ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾
 ﴿: أَيِ: كَثِيرُوا الْخُصُومَةِ ٠ ٠ اهـ

ولهذا استمع لمن أعطي الجدل كيف يشرح حاله قبل أن يترك الجدال وكثرة
 الخصومة يقول المناوي **رحمته الله في فيض القدير (١٥ / ٣٣٦):**

« وقال الغزالي: الإشارة إلى الخلافات التي أحدثت في هذه الأعصار وأبدع فيها
 من التحريرات والتصنيفات والمجادلات فإياك أن تحوم حولها واجتنبها اجتناب
 السم القاتل والداء العضال وهو الذي رد كل الفقهاء إلى طلب المنافسة والمباهاة
 ولا تسمع لقولهم.

الناس أعداء ما جهلوا فعلى الخير سقطت فاقبل النصيحة ممن ضيع العمر في ذلك
 زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وثباتاً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه
 على غيبه فهجره ٠ ٠ اهـ كلامه

وقد أيد الله عز وجل نبيه **صلوات الله وسلاماته عليه** بآية عظيمة تقطع جدل المجادل كما قال الله سبحانه
 ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾

قال القرطبي رحمته الله في الجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٦٢):

« قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي القرآن يعني بيناه بلسانك
 العربي وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله وقيل أنزلناه عليك بلسان العرب

ليسهل عليهم فهمه. ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ اللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وقال الشاعر:

أبيت نجيا للهموم كأنني ... أخاصم أقواما ذوي جدل لدا

وقال أبو عبيدة: الألد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

... وقيل: الظالم الذي لا يستقيم والمعنى واحد وخصوا بإنذار لأن الذي لا عناد عنده يسهل انقياده. اهـ

وأول من جادل بباطل هو إبليس عليه لعنة الله إذ قال كما ذكر الله عنه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تُسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

وما جادل من جادل بالباطل إلا ليرد الحق وليمضي باطله ولهذا قال الله سبحانه عمن يجادل بالباطل ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُولًا﴾

وقال سبحانه ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٣/ ٣٠٦):

« ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين كفروا يجادلون بالباطل، أي يخاصمون الرسل بالباطل، كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن. وكقولهم في

القرآن: أساطير الأولين، سحر، شعر، كهانة. وكسؤا لهم عن أصحاب الكهف، وذي القرنين. وسؤا لهم عن الروح عناداً وتعنتاً، ليبتلوا الحق بجدالهم وخصامهم بالباطل، فالجدال: المخاصمة. ومفعول ﴿يُجَادِلُ﴾ محذوف دل ما قبله عليه، لأن قوله ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدل على أن الذين يجادلهم الكفار بالباطل هم المرسلون المذكورون آنفاً. اهـ

وإن كان النبي ﷺ ذم الجدال على ما هو من المستحبات فكيف الجدال لرد الحق.

ففي الصحيحين أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

• ولا يزال العبد يجادل بالباطل حتى يعاقبه الله عز وجل بعقوبات ومنها:

١. يحل عليه سخط الله حتى يترك جداله وخصامه بالباطل:

في سنن أبي داود عَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ قَالَ جَلَسْنَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه) فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَجَلَسَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «... وَمَنْ

خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ «

[الصحيحة (٤٣٧)]

٢. تكون فيه خصلة من النفاق

أخرج البخاري من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في جامع العلوم والحكم (٤٨ / ٦):

« والثالث: إذا خاصم فجر ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إليه الكذب ». اهـ

٣. أنه من أبغض الناس إلى الله:

في الصحيحين من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْحَصِمُ »

قال النووي رحمته الله في شرحه على مسلم (٢١٩ / ١٦):

« أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْحَصِمُ » هُوَ بَفَتْحِ الْخَاءِ وَكسر الصاد والألد شديدُ الْخُصُومَةِ مَا خُوِذَ مِنْ لَدَيْهِ الْوَادِي وَهُمَا جَانِبَاهُ لِأَنَّهُ كُلَّمَا أُحْتَجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي

جَانِبٍ آخَرَ وَأَمَّا الْخَصِمُ فَهُوَ الْحَاقِظُ بِالْخُصُومَةِ وَالْمَذْمُومُ هُوَ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ فِي رَفْعِ حَقٍّ أَوْ اثْبَاتِ بَاطِلٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

٤. قد يخرج بهم إلى الكفر والعياذ بالله وبالذات إذا جادل في القرآن:

روى البيهقي في الشعب عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ:

« لَا تُجَادِلُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ جِدَالَ فِيهِ كُفْرٌ » [الصحيحه (٢٤١٩)]

قال العلامة العباد حفظه الله في شرح سنن أبي داود (٥١٤):

« [باب النهي عن الجدال في القرآن]، أي: بالباطل، وأما البحث عما جاء في القرآن من المعاني والحكم والأسرار، وفهم معانيه على مقتضى اللغة، وعلى ما جاء عن الصحابة والتابعين، فهذا أمر مطلوب، وأما الجدال الذي يكون بالباطل، والذي يكون بغير حق، والذي يترتب عليه ضرر وفتن، والذي يترتب عليه ضلال وتنافر بين الناس فهو منهي عنه.

وقد أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **(المراء في القرآن كفر)**، والمراء هو الجدال، والمقصود من ذلك المراء الذي يكون بالباطل، والذي يكون بضرب القرآن بعضه ببعض، بحيث يشكك فيه، أو يؤتى فيه بأمور غير سائغة تصرف الناس عن القرآن، فلا شك أن هذا كفر بالله عز وجل، وهو مخرج من الملة. اهـ

٥. يحرم بركة العلم:

قال العلامة العثيمين رحمته الله:

« ما من إنسان في الغالب أعطي الجدل إلا حُرِمَ بركة العلم.

لأن غالب من أوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط، وبذلك يحرم بركة العلم..

أما من أراد الحق؛ فإن الحق سهل قريب، لا يحتاج إلى مجادلات كبيرة؛ لأنه واضح.

ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة لا خير فيها، وتجد أنهم يخاصمون ويمجادلون ويتتهون إلى لا شيء!.. لا يتتهون إلى الحق..»

اهـ

٦. من أعظم ما يقود إلى الخسارة في الدنيا والآخرة.

ولهذا جاء في شعب الإيمان للبيهقي عن الأوزاعي، قال: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ، يَقُولُ: « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ جَوَّجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ »

فصل

في أن الجدال نوعان

① جدال محمود

② جدال مذموم

□ فالجدال المحمود له شروط ومنها:

▪ أن يكون بعلم وأما الجدال بلا علم فلا يجوز

قال الله سبحانه ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَآ لَآكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَآ لَآيَسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

قال القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن (٤ / ١٠٨):

« في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده فقال عز وجل: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَآ لَآكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بَآلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل أنكر ولده فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل لك من إبل؟» قال نعم. قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فيها من أورك؟» قال نعم. قال: «فمن أين ذلك؟» قال: لعل عرقا نزعته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهذا الغلام لعل عرقا نزعته»^(١). وهذا حقيقة الجدال ونهاية في تبين الاستدلال من رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة

■ أن يكون الجدل بالتي هي أحسن لقول الله سبحانه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدْلْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٣٥)

قال العلامة السعدي رحمه الله في تيسير اللطيف المنان (٢/ ٣٥٣)

« والمجادلة بالتي هي أحسن » بالعبارات الواضحة والبراهين البينة

وقد علم الله مع ذلك أن الناس ثلاثة أقسام، كل يدعى بالطريق التي تناسبه:

القسم الأول: المنقادون الملتزمون الراغبون في الخير، الراهبون من الشر،

فهؤلاء لما عندهم من الاستعداد لفعل المأمورات وترك المنهيات، والاشتياق إلى الاعتقاد الصحيح، فقط يكتفى ببيان الأمور الدينية لهم والتعليم المحض.

والقسم الثاني: الذين عندهم غفلة وإعراض واشتغال بأمور صاغة عن الحق،

فهؤلاء مع هذا التعليم يدعون بالموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب؛ لأن النفوس لا تلتفت إلى منافعها، ولا تترك أغراضها الصاغة لها عن الحق علما وعملا إلا مع البيان لها أن ترغب وترهب بذكر ما يترتب على الحق من المنافع وعلى الباطل من المضار، والموازنة بين الأمور النافعة والضارة.

والقسم الثالث: المعارضون أو المعاندون المكابرون، المتصدون لمقاومة الحق

ونصرة الباطل، فهؤلاء لا بد أن يسلك معهم طريق المجادلة بالتي هي أحسن

بحسب ما يليق بالمجادل والمجادل وبتلك المقالة وما يقترن بها، وإذا أردت تطبيق هذه الأمور الثلاثة تماماً فانظر إلى دعوات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم التي حكاها في كتابه مع أمهم المستجيبين، والمعرضين والمعارضين، تجدها محتوية على غاية الحسن في كل أحوالها. اهـ

■ أن يكون مع من التبس عليه الحق بالباطل فأراد أن يعرف الحق
فيكون الجدال معه ليتضح له الحق.

وأما مجادلة أهل البدع والضلال فلا يجوز وإنما تُفَنَّدُ شبههم ويُرد باطلهم عليهم ويُهتَك سترهم ويُحَذَرُ الناس منهم، وأما جدالهم والأخذ والعطاء معهم فلم يكن هذا من نهج السلف رضي الله عنهم أجمعين.

ولهذا قال السمعاني رحمته الله في الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ١٦):

«وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ إِنِّي لَأَدْعُ الْمِرَاءَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يَعْنِي حُبَّ الْجِدْلِ

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ الْمُنَازَعَةُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ مُحَدَّثٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ مَتَى تَدَبَّرْتَ سِيرَةَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَجَدْتَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ جِدَالِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ بِأَبْلَغِ النَّهْيِ وَلَا يَرَوْنَ رَدَّ كَلَامِهِمْ بِدَلَائِلِ الْعَقْلِ وَإِنَّمَا

كَانُوا إِذَا سَمِعُوا بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ أَظْهَرُوا التَّبْرِي مِنْهُ وَنَهَوُ النَّاسَ عَنْ
مُجَالَسَتِهِ وَمَحَاوَرَتِهِ وَالْكَلَامَ مَعَهُ وَرُبَّمَا نَهَوُا عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ
وَقَدْ قَالُوا إِذَا رَأَيْتَ مُبْتَدِعًا فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ. اهـ

□ والجدال المذموم:

ما كان لدحض الحق أو تعميته وإمضاء الباطل ونصره.

ومنه جدال أهل الأهواء والبدع والضلالات فإنهم يجادلونك لكي يثبتوا لك
أن ما ذهبَ إليه أهوائهم هو الحق ولو كان مخالفا لما جاء به النبي ﷺ.
ومن أعظم الناس جدالاً في هذه الأيام أصحاب الحزبيات فإنهم يجادلون
أهل الحق لإثبات أن هذه الحزبية خيرٌ وأن فيها مصلحة وأنها وأنها... وكل هذا
منهم للبس الحق بالباطل، فأف لهم ولحزبيتهم، وقبح الله جدالهم ودفاعهم عنها
بالباطل.

[^(١) فالجدال مذموم إلا في الحق:

وفي قوله ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلماح الى ما ينطوي عليه
الجدال المذموم لإدحاض الحق وإطفاء نور الله، أما الجدال في الآيات لإزالة
مشكلها وحل ملتبسها ومقارعة العلماء في استنباط معانيها وطرق إعرابها

(١) إعراب القرآن وبيانه (٨ / ٤٥٩)

وحسن بيانها فأمر محمود بل هو مطلوب مفروض وعلى هذا الأساس ورد قوله ﷺ: «إن جدالا في القرآن كفر» فقد أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال. [اهـ

ولهذا قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٦ / ٣٥)

« فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة - سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا - على أن يتتصر للباطل، ويُخيل للسامع أنه حق، ويوهن الحق، ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق ». اهـ

وما أكثر ما تجد في هذه الأيام من المجادلين حتى فيما أدلتته صحيحة صريحة، كالجدال في إنكار عذاب القبر ونعيمه وفي حجية السنة.... فضلا عن الجدال في حرمة المظاهرات والحزبية والديمقراطية والعلمانية وحرمة الاختلاط وغيرها. والله المستعان.

ومع هذا ووجود كل هؤلاء المجادلين والمخالفين لأهل السنة والجماعة، فاحذر من أن يصيبك ما ذكرناه في النصيحة التالية.



النصيحة التاسعة عشر

ترك اليأس والقنوط

فإن كثيرا ممن يعيش هذه الأمور قد يصيبه اليأس والقنوط من انتشار الأفكار الرديئة والدخيلة على هذا الدين ولكن العبرة ليست بالكثرة وليست مقياسا لميزان الأمور حتى نزن كل شيء بالكثرة وقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى أن الكثرة في ضلال

وأن أهل الحق قليل **قال سبحانه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** **وقال سبحانه**

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ **وقال ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ**

يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ **وقال سبحانه في مدح القلة**

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَةِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ

مَّا هُمْ﴾ **وقال سبحانه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**

وهذا يجعلك تعلم أن لله الحكمة البالغة في ذلك، فيفقدك هذا للبعد عن اليأس

والقنوط، ولهذا يقول سبحانه وتعالى عن يعقوب **عليه السلام** وهو يخاطب أولاده

﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤُورُ

الْكَافِرُونَ﴾

وقال عن إبراهيم **عليه السلام** حين خاطبه الملائكة **﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا**

تَكُنْ مِنَ الْقَاطِنِينَ﴾ **قال وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾**

وأخرج البزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: « الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ». [وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٥١)]

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١١٠ / ٤):

« قوله: ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، فيه نهى عن القنوط من رحمة الله . تعالى، وإن عَظُمَت الذنوب وكثرت، فلا يَحِلُّ لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عَظُمَت ذنوبه، ولا أن يُقنَطَ الناس من رحمة الله. قال بعض السلف: إِنَّ الفقيه كل الفقيه الذي لا يُؤَيِّسُ الناس من رحمة الله، ولا يُجَرِّيهم على معاصي الله.

والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنوبه، وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه، فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، وهذا يعترى كثيرًا من الناس. والقنوط يحصل بهذا تارة، وبهذا تارة، فالأول: كالراهب الذي أفتى قاتل تسعة وتسعين أن الله لا يغفر له، فقتله وكَمَّلَ به مائة، ثم دَلَّ على عالم فأتاه فسأله فأفتاه بأن الله يقبل توبته. والحديث في الصحيحين. والثاني: كالذي يرى للتوبة شروطًا كثيرة، ويقال له: لها شروط كثيرة، يتعذر عليه فعلها، فييأس من أن يتوب ». اهـ

فصل

في أسباب اليأس والقنوط^(١):

١. الجهل بالله:

قال ابن عادل: « القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادرا عليه.

وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالما باحتياج ذلك العبد إليه.

وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزها عن البخل، والحاجة.

والجهل بكل هذه الأمور سبب للضلال، والقنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من

مكره»

وقال ابن القيم: « الكبائر: ... القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله ...

وتوابع هذه الأمور إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها»

٢. الغلو في الخوف من الله:

قال ابن القيم رحمته الله في مدارج السالكين (٢ / ٣٩٣) وهو يتكلم عن الأدب:

« وهو على ثلاث درجات:

(١) الأسباب والوسائل المعينة على التخلص من اليأس والقنوط كلها مستفادة من موسوعة الأخلاق في باب الأخلاق المذمومة

الدرجة الأولى منع الخوف: أن لا يتعدى إلى اليأس

وحبس الرجاء: أن يخرج إلى الأمن

وضبط السرور: أن يضاهى الجراءة

يريد: أنه لا يدع الخوف يفضي به إلى حد يوقعه في القنوط واليأس من رحمة الله
فإن هذا الخوف مذموم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: حد الخوف ما حجزك عن

معاصي الله فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه

وهذا الخوف الموقع في الإيأس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى التي سبقت

غضبه وجهل بها . اهـ

٣. التعلق بالأسباب:

فإنك تجد أكثر من ييأس ويقنط من رحمة الله هو من كان متعلقاً بالأسباب فلما

انقطعت الأسباب أصابه اليأس والقنوط.

وأما المتعلق بالله الذي هو مسبب الأسباب فإنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو

الذي بيده ملكوت كل شيء فهو متعلق به لا بغيره، ويعلم أن التعلق بالسبب شرك

أصغر.

وانظر إلى مَنْ تعلق بالله لا بالسبب كيف حاله حين تنقطع الأسباب قال الله سبحانه ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

فموسى عليه السلام تعلق بالله لا بمجرد السبب ففتح الله لهم باباً من الفرج ما كانوا يتوقعونه، ففتح لهم طريقاً في البحر يسيراً يسرون فيه والله على كل شيء قدير.

٤. تعلق القلب بالدنيا:

وهذا من أعظم الأسباب لليأس والقنوط فإن المتعلق بالدنيا إذا فاته شيء من أمور الدنيا أصابه اليأس والقنوط وصدق الله إذ يقول ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بُعَادَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٣٦)

ولهذا تجده إذا أصابه شيء من البلاء في الدنيا كالفقر والمرض والبلاء في ولده أو أهله أو ماله يئس من روح الله قال الله ﴿لَا يَسْتَعْمِلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ﴾ (٤٩)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٧ / ١٨٦): «يقول تعالى: لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَائِهِ رَبَّهُ بِالْخَيْرِ وَهُوَ: الهال، وصحة الجسم، وغير ذلك - وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر ﴿فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ﴾ (٤٩) أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير». اهـ

فهذه بعض الأسباب التي تقود إلى اليأس من روح الله وفرجه والقنوط من رحمة الله ولا بد للعبد أن يسعى في الخروج من هذه الدائرة التي توقعه في الضلال والعياذ بالله فإن اليأس والقنوط ليس من سمات عباد الله المؤمنين.

فصل

في بعض الأمور التي تعينك على التخلص من اليأس والقنوط:

١. الإيمان بأسماء الله وصفاته

بالذات التي تدل على الرحمة والمغفرة والكرم والجود

٢. حسن الظن بالله ورجاء رحمته

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

قال ابن بطال رحمته الله في شرح البخاري (١٠ / ٥٠٠):

«وقوله: (أنا عند ظن عبدي بي) لا يتوجه إلا إلى المؤمنين خاصة أي: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، وفي القرآن آيات تشهد أن عباده المؤمنين وإن أسرفوا على أنفسهم أنه عند ظنهم به من المغفرة والرحمة، وإن أبطأت حيناً وتراخت وقتاً لإنفاذ ما حتم به، على من سبق عليه إنفاذ الوعيد تحلة القسم؛ لأنه قد كان له أن يعذب واحد أبداً كإبليس، فهو عند ظن عبده، وإن عاقبه برهة فإن كان ظنه به ألا يعذبه برهة، ولا تحلة فإنه كذلك يجده كما ظن إن شاء الله فهو أهل التقوى وأهل المغفرة» . اهـ

يقول الشافعي رحمه الله:

ولما قسى قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجاءني نحو عفوك ربي سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو مئةً وتكرما
وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي » [الصحيحة (١٢٧)]

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٨ / ٧):

« وقوله: « إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي » يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاظمني ذلك، ولا أستكثره، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فليُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ ».

فذنوب العباد وإن عظمت فإن عفواً الله ومغفرته أعظم منها وأعظم، فهي صغيرة في جنب عفواً الله ومغفرته ». اهـ

٣. أن يكون العبد بين الخوف والرجاء:

فلا يغلب جانب الخوف فيقنط من رحمة الله ولا يغلب جانب الرجاء فيأمن من مكر الله وكلاهما لا يجوز فالأول إفراط والثاني تفريط والمؤمن بين ذلك.

قال الله سبحانه وتعالى عن أنبياءه عليهم السلام ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾

فصل

في الفرق بين حسن الظن والرجاء وبين الغرور:

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٢ / ٤٢):

« فقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وأن حسن الظن إن حمل على العمل
وحت عليه وساق إليه فهو صحيح وإن دعا البطالة والانهاك في المعاصي فهو غرور
وحسن الظن هو الرجاء فمن رجاؤه هاديا إلى الطاعة وزاجرا عن المعصية فهو رجاء
صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور ولو أن رجلا
كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها ولم يبذر ما لم يحرقها
وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من حرث وبذر وسقى وتعاهد الأرض لعدة
الناس من أسفه السفهاء وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بأن يجيئه ولد من غير
جماع أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب وحرص تام عليه وأمثال ذلك فكذا
من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات نواهيته وبالله التوفيق

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات؟

وقال المغرورون: إن المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين على عباده المتجربين على محارمه أولئك يرجون رحمة الله

وسر المسألة: أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ألا يكله إليها وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ويضرب عما يعارضها ويبطل أثرها

وما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً، رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها: محبته ما يرجوه

الثاني: خوفه من فواته

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر فكل راجٍ خائفٌ والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم:** « مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » ^(١)

(١) (صحيح) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤)

وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل **قال الله تعالى:**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ . اهـ

فأين هذا ممن رجي رحمة الله وهو نائم عن العمل قاعدٌ عن السير إلى ما ينفعه بين يدي ملك الملوك فهذا الغرور بعينه، فهيئات أن يدرك الذين ساروا بلبيل يسابقون أنفاسهم ويتتبعون آثار من سبقهم بالعمل وكانوا من الذين أنعم الله عليهم فهو لاء هم المفلحون حقاً » **وعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيايات الكرى** ^(١)

٤. الإيمان بالقضاء والقدر

قال الله عز وجل ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد (ص: ٣٤):

« إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

(١) مثل يُضْرَب في احتمال المشقة والحث على الصبر حتى تُحمد العاقبة (المعجم الوسيط)

الأول: مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدّره وشاءه وخلقاه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه.

الثالث: مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدور غالبه لغضبه وانتقامه، ورحمته حشوه أي ظاهره بلاء وباطنه رحمة.

الرابع: مشهد الحكمة، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سدى ولا قضاة عبثا.

الخامس: مشهد الحمد، وإن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.

السادس: مشهد العبوديّة، وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيّده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده، فيصرفه تحت أحكامه القدريّة كما يصرفه تحت أحكامه الدينيّة، فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه ». اهـ

فهذه أهم الوسائل التي تعينك على التخلص من يأسك وقنوطك.

فإذا تخلصت من اليأس والقنوط كان للنصيحة الأخيرة موقعها في قلبك وهي.



النصيحة العشرونالاعتزاز بالدين

وأخبرنا هذه النصيحة لأنه لا بد أولاً للشاب أن يهياً قلبه بالأمور السالفة الذكر لكي يكون للاعتزاز بهذا الدين موقع في قلبه، ولو ذكرناها أولاً لم تجد لها وقعا في النفس.

*** ومن اعتز بدينه أعزه الله وذلك لأمر:**

أولها: أن الله سبحانه وتعالى من أسمائه العزيز

ثانيا: أن كتاب الله سبحانه وتعالى عزيز قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَأَنَّهُ وَلَكُنْ

عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾

ثالثا: أن رسوله عليه الصلاة والسلام عزيز ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

فمن آمن بالله العزيز وعبدته حق العبادة واتبع كتابه العزيز وعمل به وأطاع رسوله العزيز ﷺ وسار على نهجه ودربه ولم يتخلف عن سنته أعزه الله سبحانه وتعالى.

فإن هذه الثلاثة الأمور هي عزيزة في الدنيا وهي عزيزة في القبر فلهذا يُسأل العبد عنها في القبر.

أخرج الحاكم في مستدركه عن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: « خَرَجَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ
لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِرِمَامٍ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا
الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا
عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِرِمَامٍ نَاقَتِكَ، وَتَخْوُضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسْرُنِي أَنْ أَهْلَ الْبَلَدِ
اسْتَشَرُّ فُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: « أَوْهَ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نِكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ
مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ ». [صححه الألباني في الترغيب (٢٨٩٣)]

فلا بد لك يا أيها الشاب أن تعترف بالله وبدين الله سبحانه وتعالى إذا أردت أن
يعزك الله تعالى، وذلك لا يكون إلا بأمور ومنها:

• أن تستقيم على دين الله تمام الاستقامة

فالعز والكرامة لا يكون إلا بالاستقامة على دين الله

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٣ / ٣٤):

« والمطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها فالمقاربة فإن

نزل عنها: فالتفريط والإضاعة كما في صحيح مسلم من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ

لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: « وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ

يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها فأمر بالاستقامة وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال وأخبر في حديث ثوبان: أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم كالذي يرمي إلى الغرض فإن لم يصبه يقاربه ومع هذا فأخبرهم: أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة فلا يركن أحد إلى عمله ولا يعجب به ولا يرى أن نجاته به بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة». اهـ

• أن تعمل بأوامر الله مما جاء في كتابه

فإن العمل بطاعة الله عز ومعهصيته ذل.

قال ابن القيم في الداء والدواء (١ / ١٤٦):

« ومنها: أن المعصية تورث الذلَّ، ولا بدَّ؛ فإنَّ العزَّ كلَّ العزِّ في طاعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنَّه لا يجدها إلا في طاعته.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تُذلني بمعصيتك.

قال الحسن البصري: إنهم، وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين^(١)، إنَّ ذلَّ المعصية لا يفارق قلوبهم. أبى الله إلا أن يُذلَّ من عصاه.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوب تُميت القلوب	وقد يورث الذلَّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ	وأحبارُ سوء ورهبانها

« . اه كلامه بِحَمْدِ اللَّهِ

- أن تعمل بأوامر رسول الله ﷺ مما جاء في سنته
- أن تتأسى برسول الله ﷺ في لحيته ولباسه وأخلاقه
- أن تترك متابعة النصارى في الموضات والحلاقات وأن تحالفهم في

كل ذلك

(١) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة وبخثرة. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب.

• أن تَعْلَمَ وتُعَلِّمَ غيرك أن العزة بالتمسك بهذا الدين من جميع جوانبه، ولا يمكن أن تكون بغير هذا.

• ألا تنظر لما وصل إليه الغرب ولكن انظر إلى أسلافك من الصحابة والتابعين وما وصلوا إليه من العز والتمكين والحياة الطيبة.

• أن تُقْبِلَ على تعلم العلم النافع الذي ينفعك بين يدي الله عز وجل.

فإن الاعتزاز بالدين لا يعني أنك تفخر به دون أن تتمسك به بل لا بد من أن تكون عالمًا عاملاً حتى تنتفع بذلك بين يدي الله عز وجل.
والله الموفق إلى رضوانه.



الخاتمة

هذا ما خطه البنان من بعض النصائح التي تبادرت إلى الذهن والجنان، مما فتح به اللطيف المنان، مما نرى أنه واجب علينا العمل به حتى ننجو من عذاب الله، وننعم برضوان من الله.

فيا أيها الشاب أنا لك ناصح والله بأن تجعل همك همًا واحدًا وهو الفوز برضا الله والفلاح في الدار الآخرة والفوز بالجنة فإذا فعلت ذلك وتوحد الهم وصار همًا واحدًا لله، يسر الله عز وجل لك جميع أمور حياتك **قال الله سبحانه** ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

وروى البيهقي في الشعب عن ابن عمر **رضي الله عنهما** قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ جَعَلَ الِهُمَّ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الِهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ » [صحيح الترغيب (٣١٧٠)]

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي فالنصح أغلى ما يباع ويوهب
سبحانك اللهم وحمدك لا إله إلا أنت أسغفرُك وأتوبُ إليه.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عبد الرحمن خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي غفر الله له ولوالديه

في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة تسع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم

فهرس المحتويات

٢	مقدمة
٢	فضيلة الشيخ الحداد
٢	يحيى بن علي المجوري حفظه الله تعالى
٦	النصيحة الأولى
٦	العناية بالوقت
٢٢	النصيحة الثانية
٢٢	التمسك بالكتاب والسنة
٢٩	□ ودونك الأدلة على وجوب الأخذ بالسنة والكتاب معا:
٥٨	النصيحة الثالثة
٥٨	اختيار المجلس الصالح
٦٥	النصيحة الرابعة
٦٥	محبة الصالحين
٦٨	• ومحبة الصالحين وكره أهل البدع يتولد منه أمور محمودة شرعا ومنها:
1	١. الحب في الله والبغض في الله
٦٨	٦٨
2	2. تميز الحق من الباطل
٧٣	٧٣
3	3. قيام أصل من أصول الدين وهو الولاء والبراء:
٧٦	٧٦
٨٠	النصيحة الخامسة
٨٠	طلب العلم الشرعي
٨٠	□ وقد رغب النبي ﷺ في طلب العلم وحث عليه في أحاديث كثيرة ومن ذلك:
٩٥	النصيحة السادسة
٩٥	الإخلاص في جميع الأعمال

النصيحة السابعة	١٠٣
العمل بالعلم	١٠٣
○ وانظر إلى أولئك النفر من قريش الذين علموا بصدق النبي ﷺ	١٠٨
○ بعض ثمرات العمل الصالح	١١٦
1) أن الله سبحانه وتعالى يحبهم	١١٦
2) أن الله يحبهم إلى خلقه	١١٩
3) يأمنون من كل خوف ويُمكنُّ الله لهم في الأرض	١١٩
4) أنهم يتجون من الخسارة	١٢٠
5) ينعمون بحياة طيبة في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة	١٢٠
النصيحة الثامنة	١٢٢
الحفاظ على الصلوات	١٢٢
والأمر بالحفاظ عليها يشتمل على أمور ومنها:	١٢٥
فائدة عزيزة:	١٣٠
النصيحة التاسعة	١٤٠
التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم	١٤٠
● فمن التأسي برسول الله ﷺ إعفاء اللحية	١٤٢
● ومنه تقصير الثوب فيما دون الكعبين	١٤٥
● ومنه الإمساك عن فضول الكلام	١٤٨
● الأكل باليمين وترك الأكل بالشمال	١٤٩
● ومن التأسي بالنبي ﷺ المبادرة لما ذكرناه في النصيحة العاشرة.	١٥٠
النصيحة العاشرة	١٥١
الإسراع في الزواج	١٥١

- وهذان أمران ينتفع به الشاب إذا تزوج مبكرًا: ١٥١
- أولها غض البصر: ١٥١
 - ثانيها حفظ الفرج: ١٥٣
 - ومنها مما لم يذكر في الحديث الاستقرار النفسي ١٥٥
 - ومنها أنه إكمال لنصف الدين ١٥٥
 - وفيها ستر وإعفاف لمن تزوجها ١٥٦
 - يُلتَمَسُ فيه الغنى ١٥٦
- النصيحة الحادية عشر ١٥٩
- اختيار الزوجة الصالحة ١٥٩
- والزواج بالمرأة الصالحة له فوائد عظيمة يجنيها الشاب ومنها: ١٦٠
- النصيحة الثانية عشر ١٧١
- غض البصر عن محارم الله ١٧١
- فصل: ١٨٠
- فصل: ١٨٢
- في بعض الأمور التي يجب غض البصر عنها ١٨٢
- النصيحة الثالثة عشر ١٨٥
- الاستعانة بالله في كل الأمور ١٨٥
- النصيحة الرابعة عشر ١٩١
- الإكثار من ذكر الله ١٩١
- ومن عظم الذكر أن الله سبحانه وتعالى أمر به في أعظم المواطن ومنها: ١٩٢
- إذا أتم الحاج مناسك الحج ١٩٢
 - إذا أتم المصلي أعظم صلاة في الأسبوع وهي الجمعة ١٩٣

- عند لقاء الأعداء ١٩٣
- عند تجديد النعم وإرادة شكرها ١٩٥
- متى يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً؟ ١٩٨
- النصيحة الخامسة عشر ٢٠١
- التخلق بالأخلاق الفاضلة ٢٠١
- ✽ وسِرُّ معي في هذه الصفحات بقلبٍ حاضرٍ لتعلم ماذا أعد الله سبحانه لمن كان خلقه حسناً: .. ٢٠٢
- اعتراض وارد: ٢٠٧
- في المقصود بحسن الخلق ٢١١
- النصيحة السادسة عشر ٢١٣
- ترك الحزبيات والتفرق ٢١٣
- 📖 من لطائف القرآن: ٢١٦
- 📖 فصلٌ: في بعض بوائق الحزبية النتنة: ٢١٧
- مضارُّ الأحزابِ على جماعة المسلمين: ٢٢٠
- النصيحة السابعة عشر ٢٢٧
- اعرف طريق السلف وما خصهم الله به ٢٢٧
- أولاً: من المقصود بالسلف ٢٢٨
- فصلٌ: ٢٢٨
- هل كل من جاء بعدهم وسار على نهجهم يُعدُّ منهم؟ ٢٢٨
- لماذا ينبغي علينا السير على ما سار عليه الصحابة خصوصاً والسلف عموماً؟ ٢٣١
- ثالثاً: أصول أهل السنة والجماعة: ٢٣٨
- الأصل الأول ٢٣٨
- الأصل الثاني ٢٣٩
- الأصل الثالث ٢٤٠
- الأصل الرابع ٢٤٠

٢٤١	الأصل الخامس
٢٤٢	الأصل السادس
٢٤٣	الأصل السابع
٢٤٤	الأصل الثامن
٢٤٦	الأصل العاشر
٢٥٨	الأصل الحادي عشر
٢٦٥	فصل
٢٦٥	في وجوب تضليل المخالف للأصول والبراءة منه وهتك ستره:
٢٦٧	فائدة عزيزة:
٢٧٠	رابعاً: فيما يمتاز به السلفيون أهل السنة والجماعة:
٢٨٥	فصل:
٢٨٥	فيمن يدعي أن عقيدته سلفية وهو ينتسب لجماعات وأحزاب:
٢٨٧	النصيحة الثامنة عشر
٢٨٧	ترك الجدال بالباطل
٢٩٤	فصل
٢٩٤	في أن الجدال نوعان
٢٩٥	□ فالجدال المحمود له شروط ومنها:
٣٠٠	النصيحة التاسعة عشر
٣٠٠	ترك اليأس والقنوط
٣٠٢	فصل
٣٠٢	في أسباب اليأس والقنوط:
٣٠٥	فصل
٣١١	النصيحة العشرون
٣١١	الاعتزاز بالدين
٣١٦	الخاتمة

